بسم الله الرحمن الرحيم

أوّلُ سورةِ الدخانِ

القولُ فى تأويلِ قولِه : ﴿ حمٓ ۝١ وَٱلْكِتَٰبِ ٱلْمُبِينِ ۝٢ إِنَّآ أَنزَلْنَٰهُ فِى لَيْلَةٍ مُّبَٰرَكَةٍ إِنَّا كُنَّا مُنذِرِينَ ۝٣ فِيهَا يُفْرَقُ كُلُّ أَمْرٍ حَكِيمٍ ۝٤ أَمْرًا مِّنْ عِندِنَآ إِنَّا كُنَّا مُرْسِلِينَ ۝٥ رَحْمَةً مِّن رَّبِّكَ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْعَلِيمُ ۝٦ ﴾ .

قال أبو جعفرٍ : قد تقدَّم بيانُنا[1] معنى قولِه : ﴿ حمٓ ۝١ وَٱلْكِتَٰبِ ٱلْمُبِينِ ﴾[2] .

وقولُه : ﴿ إِنَّآ أَنزَلْنَٰهُ فِى لَيْلَةٍ مُّبَٰرَكَةٍ ﴾ . أقسَم ربُّنا جلّ ثناؤُه [٤٤/٦٣و] بهذا الكتابِ أنه أنزَله فى ليلةٍ مباركةٍ .

واختُلِف[3] فى تلك الليلةِ أىُّ ليلةٍ من ليالى السنةِ هى ؛ **فقال بعضُهم** : هى ليلةُ القدرِ .

ذكرُ مَن قال ذلك

حدَّثنا بشرٌ ، قال : ثنا يزيدُ ، قال : ثنا سعيدٌ ، عن قتادةَ : ﴿ إِنَّآ أَنزَلْنَٰهُ فِى لَيْلَةٍ مُّبَٰرَكَةٍ ﴾ : ليلةِ القدرِ[4] . نزَلتْ صحفُ إبراهيمَ فى أوَّلِ ليلةٍ مِن رمضانَ ، ونزَلتْ التوراةُ لستٍّ ليالٍ مضَيْن[5] مِن رمضانَ ، ونزَل الزَّبورُ لثنتَىْ[6] عشْرةَ مضَتْ مِن رمضانَ ، ونزَل الإنجيلُ لثمانِ عَشْرةَ مضَتْ مِن رمضانَ ، ونزَل الفرقانُ لأربعٍ وعشرين

(١) بعده فى ص ، ت ٢، ت ٣: « فى » .
(٢) ينظر ما تقدم فى ٢٠/٢٧٤ - ٢٧٦ ، ٥٤٢ .
(٣) بعده فى م : « أهل التأويل » .
(٤) بعده فى ص ، م ، ت١، ت٢، ت٣: « و » .
(٥) فى م : « مضت » .
(٦) فى م : « لست » . وينظر تفسير القرطبى ١٦/١٢٦

مضَتْ[١] مِن رمضانَ[٢] .

حدَّثنا ابنُ عبدِ الأعلى ، قال : ثنا ابنُ ثورٍ ، عن معمرٍ ، عن قتادةَ **فى قولِه** : ﴿ فِي لَيْلَةٍ مُّبَارَكَةٍ ﴾ . قال : هى ليلةُ القدرِ[٣] .

حدَّثنى يونسُ ، قال : أخبَرنا ابنُ وهبٍ ، قال : قال ابنُ زيدٍ **فى قولِ اللَّهِ** : ﴿ إِنَّآ أَنزَلْنَٰهُ فِي لَيْلَةٍ مُّبَارَكَةٍ إِنَّا كُنَّا مُنذِرِينَ ﴾ . قال : تلك الليلةُ ليلةُ القدرِ ، أنزَل اللَّهُ هذا القرآنَ من أُمِّ الكتابِ فى ليلةِ القدرِ ، ثم أنزَله على نبيِّه[٤] فى الليالى والأيامِ ، وفى غيرِ ليلةِ القدرِ[٥] .

١٠٨/٢٥ / **وقال آخرون** : بل هى ليلةُ النصفِ من شعبانَ .

والصوابُ مِن القولِ فى ذلك قولُ مَن قال : عُنِى بها ليلةُ القدرِ . لأنّ اللَّهَ أخبَر تعالى ذكرُه أن ذلك كذلك بقولِه[٦] : [٧]﴿إِنَّآ أَنزَلْنَٰهُ فِي لَيْلَةِ ٱلْقَدْرِ﴾ [القدر : ١] .

وقولُه : ﴿ إِنَّا كُنَّا مُنذِرِينَ ﴾ يقولُ تعالى ذكرُه[٧] : إنا كُنَّا مُنْذِرين خَلْقَنا بهذا الكتابِ الذى أنزَلناه فى الليلةِ المباركةِ عقوبتَنا أن تحُلَّ بمن كفَر منهم ، فلم يتبْ[٨] إلى توحيدِنا وإفرادِ الأُلوهةِ لنا .

وقولُه : ﴿ فِيهَا يُفْرَقُ كُلُّ أَمْرٍ حَكِيمٍ ﴾ . **اختلَف أهلُ التأويلِ فى هذه الليلةِ التى**

---

(١) فى الأصل : « مضين » .

(٢) ذكره البيهقى فى الأسماء والصفات (٤٩٤) عن إبراهيم بن طهمان عن قتادة معلقًا ، وينظر ما تقدم تخريجه فى ٣/ ١٨٩.

(٣) أخرجه عبد الرزاق فى تفسيره ٢/ ٢٠٥ عن معمر به ، وعزاه السيوطى فى الدر المنثور ٦/ ٢٥ إلى عبد بن حميد .

(٤) فى النسخ : « الأنبياء » . والمثبت موافق لما فى تفسير القرطبى .

(٥) ذكره القرطبى فى تفسيره ١٦/ ١٢٦، وأبو حيان فى البحر المحيط ٨/ ٣٢.

(٦) فى م : « لقوله » .

(٧ - ٧) سقط من : ص ، م ، ت١، ت٢، ت٣ .

(٨) فى م : « ينب » .

يُفْرَقُ فيها كلُّ أمرٍ حكيمٍ نحوَ اختلافِهم فى الليلةِ المباركةِ ، وذلك أن الهاءَ التى فى قولِه : ﴿ فِيهَا ﴾ . عائدةٌ على الليلةِ المباركةِ ؛ **فقال بعضُهم** : هى ليلةُ القدرِ ، يُقْضَى فيها أمْرُ السنةِ كلِّها ؛ مَن يموتُ ، ومَن يولدُ ، ومن يُعزُّ ، ومن يُذلُّ ، وسائرُ أمورِ السنةِ .

ذكرُ مَن قال ذلك

حدَّثنا مجاهدُ بنُ موسى ، قال : ثنا يزيدُ ، قال : أخبَرنا ربيعةُ بنُ كُلْثومٍ ، قال : كنتُ عندَ الحسنِ فقال له رجلٌ : يا أبا سعيدٍ ، ليلةُ القدرِ فى كلِّ رمضانَ هى ؟ قال : إى واللَّهِ ، إنها لفى كلِّ رمضانَ ، وإنها لليلةٌ[(١)] يُفْرَقُ فيها كلُّ أمرٍ حكيمٍ ، فيها يَقْضِى اللَّهُ كلَّ أجلٍ وأملٍ ورزقٍ إلى مثلِها[(٢)] .

حدَّثنى يعقوبُ ، قال : ثنا ابنُ عليَّةَ ، قال : ثنا ربيعةُ بنُ كُلْثومٍ ، قال : قال رجلٌ للحسنِ وأنا أسمَعُ : أرأَيتَ ليلةَ القدرِ ، أفى كلِّ رمضانَ هى ؟ قال : نعم واللَّهِ الذى لا إلهَ إلَّا هو ، إنها لفى كلِّ رمضانَ ، وإنها لليلةٌ يُفْرَقُ فيها كلُّ أمرٍ حكيمٍ ، يَقْضِى اللَّهُ كلَّ أجلٍ [(٣)] وعملٍ [(٣)] وخَلْقٍ ورزقٍ إلى مثلِها .

حدَّثنى يونسُ ، قال : أخبَرنا ابنُ وهبٍ ، قال : قال [(٣)] ابن زَيدٍ : حدَّثنى [(٣)] عبدُ الحميدِ بنُ سالمٍ ، عن [(٤)] عمرَ مولى غُفْرَةَ [(٤)] ، قال : يقالُ : يُنْسَخُ لملَكِ الموتِ مَن يموتُ ليلةَ القدرِ إلى مثلِها ، وذلك لأن اللَّهَ عزَّ وجلَّ يقولُ : ﴿ إِنَّآ أَنزَلْنَـٰهُ فِى لَيْلَةٍ مُّبَـٰرَكَةٍ ﴾ . وقال : ﴿ فِيهَا يُفْرَقُ كُلُّ أَمْرٍ حَكِيمٍ ﴾ . قال : فتجدُ الرجلَ ينكِحُ النساءَ ، ويغرِسُ الغرسَ [٤٤/٦٣ظ] واسمُه فى الأمواتِ[(٥)] .

---

(١) فى ص ، م ، ت١، ت٢، ت٣ : « الليلة التى » .

(٢) ذكره القرطبى فى تفسيره ١٦/ ١٢٧، وعزاه السيوطى فى الدر المنثور ٦/ ٢٥ إلى المصنف وعبد بن حميد ومحمد بن نصر .

(٣ - ٣) سقط من : ص ، م ، ت١، ت٢، ت٣ .

(٤ - ٤) فى ص ، ت ١، ت ٢، ت ٣: « عمرو مولى عفرة » . وينظر تهذيب الكمال ٢١/ ٤٢٠.

(٥) عزاه السيوطى فى الدر المنثور ٦/ ٢٥ إلى المصنف .

حدَّثنا ابنُ بشارٍ ، قال : ثنا عبدُ الرحمنِ ، قال : ثنا سفيانُ ، عن سلمةَ ، عن أبى مالكٍ فى قولِه : ﴿ فِيهَا يُفْرَقُ كُلُّ أَمْرٍ حَكِيمٍ ﴾ . قال : أمرُ السنةِ إلى السنةِ ، ما كان مِن خلقٍ أو رزقٍ أو أَجلٍ أو مصيبةٍ ، أو نحوِ هذا[١] .

حدَّثنا ابنُ بشارٍ ، قال : ثنا عبدُ الرحمنِ ، قال : ثنا سفيانُ ، عن حبيبٍ ، عن هلالِ بنِ يِسَافٍ ، قال : كان يقالُ : انْتَظِروا القضاءَ فى شهرِ رمضانَ[٢] .

حدَّثنا الفضلُ بنُ الصَّباحِ ، قال : ثنا محمدُ بنُ فُضَيلٍ ، عن حُصَينٍ ، عن سعدِ[٣] بنِ عُبيدةَ ، عن أبى عبدِ الرحمنِ فى قولِه : ﴿ فِيهَا يُفْرَقُ كُلُّ أَمْرٍ حَكِيمٍ ﴾ . قال : يُدَبَّرُ أمرُ السنةِ فى ليلةِ القدرِ[٤] .

حدَّثنى محمدُ بنُ عمرٍو ، قال : ثنا أبو عاصمٍ ، قال : ثنا عيسى ، **وحدَّثنى** الحارثُ ، قال : ثنا الحسنُ ، قال : ثنا ورقاءُ ، جميعًا عن ابنِ أبى نجيحٍ ، عن مجاهدٍ فى قولِه : ﴿ فِيهَا يُفْرَقُ كُلُّ أَمْرٍ حَكِيمٍ ﴾ . قال : فى ليلةِ القدرِ كلُّ أمرٍ يكونُ فى السنةِ إلى السنةِ ؛ إلَّا[٥] الحياةَ والموتَ ، يُقَدَّرُ فيها المعايشُ والمصائبُ كلُّها[٦] .

/ **حدَّثنا** بشرٌ ، قال : ثنا يزيدُ ، قال : ثنا سعيدٌ ، عن قتادةَ : ﴿ إِنَّآ أَنزَلْنَٰهُ فِى لَيْلَةٍ مُّبَٰرَكَةٍ ﴾ : ليلةِ القدرِ . ﴿ فِيهَا يُفْرَقُ كُلُّ أَمْرٍ حَكِيمٍ ﴾ : كنَّا نُحدَّثُ أنه يُفْرَقُ ١٠٩/٢٥

---

(١) أخرجه البيهقى فى الشعب (٣٦٦٢) من طريق سفيان به ، وعزاه السيوطى فى الدر المنثور ٦/ ٢٥، ٢٦ إلى عبد بن حميد ومحمد بن نصر وابن المنذر .

(٢) عزاه السيوطى فى الدر المنثور ٦/ ٢٥ إلى المصنف .

(٣) فى ص ، م ، ت١، ت٢، ت ٣: « سعيد » . وينظر تهذيب الكمال ١٠/ ٢٩٠.

(٤) أخرجه البيهقى فى الشعب (٣٦٦٣) من طريق ابن فضيل به ، وهو فى تفسير مجاهد ص٥٩٧ من طريق حصين به ، وعزاه السيوطى فى الدر المنثور ٦/ ٢٦ إلى عبد بن حميد و محمد بن نصر .

(٥) سقط من النسخ . والمثبت من مصدرى التخريج .

(٦) تفسير مجاهد ص ٥٩٧، وعزاه السيوطى فى الدر المنثور ٦/ ٢٥ إلى سعيد وعبد بن حميد وابن المنذر .

فيها أمرُ السنةِ إلى السنةِ[١] .

حدَّثنا ابنُ عبدِ الأعلى ، قال : ثنا ابنُ ثورٍ ، عن معمرٍ ، عن قتادةَ ، قال : هى ليلةُ القدرِ ، فيها يُقْضَى ما يكونُ مِن السنةِ إلى السنةِ[٢] .

حدَّثنا ابنُ حميدٍ ، قال : ثنا جريرٌ ، عن منصورٍ ، قال : سألتُ مجاهدًا فقلتُ : أرأيتَ دعاءَ أحدِنا يقولُ : اللَّهمّ إن كان اسمى فى السعداءِ فأَثْبِتْه فيهم ، وإن كان فى الأشقياءِ فامْحُه منهم واجعلْه فى السعداءِ . فقال : حسَنٌ . ثم لقِيتُه بعدَ ذلك بحولٍ أو أكثرَ من ذلك ، فسألْتُه عن هذا الدعاءِ ، فقال : ﴿ إِنَّآ أَنزَلْنَـٰهُ فِى لَيْلَةٍ مُّبَـٰرَكَةٍ إِنَّا كُنَّا مُنذِرِينَ ﴿٣﴾ فِيهَا يُفْرَقُ كُلُّ أَمْرٍ حَكِيمٍ ﴾ . قال : يُقضَى فى ليلةِ القدرِ ما يكونُ فى السنةِ من رزقٍ أو مصيبةٍ ، ثم يقدِّمُ ما يشاءُ ، ويؤخِّرُ ما يشاءُ ، فأما كتابُ السعادةِ والشقاءِ فهو ثابتٌ لا يُغَيَّرُ .

وقال آخرون : بل هى ليلةُ النصفِ مِن شعبانَ .

ذكرُ مَن قال ذلك

حدَّثنا الفضلُ بنُ الصَّباحِ والحسنُ بنُ عرفةَ ، قالا : ثنا النَّضْرُ[٣] بنُ إسماعيلَ البَجَلِىُّ ، عن محمدِ بنِ سُوقةَ ، عن عكرمةَ فى قولِ اللَّهِ : ﴿ فِيهَا يُفْرَقُ كُلُّ أَمْرٍ حَكِيمٍ ﴾ . قال : فى ليلةِ النصفِ مِن شعبانَ ؛ يُبْرَمُ فيه أمرُ السنةِ ، ويُنْسَخُ[٤] الأحياءُ مِن الأمواتِ ، ويُكتَبُ الحاجُّ فلا يُزادُ فيهم[٥] ، ولا يُنْقَصُ منهم

---

(١) أخرجه البيهقى فى الشعب (٣٦٦٥) من طريق سعيد به ، وعزاه السيوطى فى الدر المنثور ٦/٢٦ إلى عبد بن حميد ومحمد بن نصر .

(٢) أخرجه عبد الرزاق فى تفسيره ٢/٢٠٥ عن معمر به .

(٣) فى ص ، م ، ت١، ت٢، ت٣: « الحسن » . ينظر تهذيب الكمال ٢٩/ ٣٧٢.

(٤) فى ص ، م ، ت١، ت٢، ت٣ : « تنسخ » .

(٥) بعده فى ص ، ت١، ت٢، ت٣ : « أحد » .

أحدٌ[١] .

حدَّثنى عُبيدُ بنُ آدمَ بنِ أبى إياسٍ ، قال : ثنا أبى ، قال : ثنا الليثُ ، عن عُقَيلِ بنِ خالدٍ ، عن ابنِ شهابٍ ، عن عثمانَ بنِ محمدِ بنِ المغيرةِ بنِ الأَخْنَسِ ، قال : قال رسولُ اللَّهِ ﷺ : « تُقْطَعُ الآجالُ مِن شعبانَ إلى شعبانَ ، حتى إنَّ الرجلَ لَيَنْكِحُ ويُولَدُ له وقد خرَج اسمُه فى المَوْتى »[٢] .

حدَّثنى محمدُ بنُ مَعْمَرٍ ، قال : ثنا أبو هشامٍ ، قال : ثنا عبدُ الواحدِ ، قال : ثنا عثمانُ بنُ حكيمٍ ، قال : ثنا سعيدُ بنُ جبيرٍ ، قال : قال ابنُ عباسٍ : إن الرجلَ ليمشِى فى الناسِ وقد رُفِع[٣] فى الأمواتِ . قال : ثم قرأ هذه الآيةَ : ﴿ إِنَّآ أَنزَلْنَـٰهُ فِى لَيْلَةٍ مُّبَـٰرَكَةٍ إِنَّا كُنَّا مُنذِرِينَ ۝٣ فِيهَا يُفْرَقُ كُلُّ أَمْرٍ حَكِيمٍ ﴾ . قال : ثم قال : فيها يُفْرقُ أمرُ الدنيا من السنةِ إلى السنةِ[٤] .

وأولى القولين فى ذلك بالصوابِ قولُ من قال : ذلك ليلةُ القدرِ . لما قد تقدَّم مِن بيانِنا عن أنّ المعنىَّ بقولِه : ﴿ إِنَّآ أَنزَلْنَـٰهُ فِى لَيْلَةٍ مُّبَـٰرَكَةٍ ﴾ . ليلةُ القدرِ . والهاءُ فى قولِه : ﴿ فِيهَا ﴾ مِن ذكرِ الليلةِ المباركةِ .

وعُنِى بقولِه : ﴿ فِيهَا يُفْرَقُ كُلُّ أَمْرٍ حَكِيمٍ ﴾ : [٤٤/٦٤و] فى هذه الليلةِ المباركةِ يُقْضَى ويُفْصَلُ كلُّ أمرٍ أَحكَمه اللَّهُ تعالى ذكرُه فى تلك السنةِ ، إلى مثلِها مِن السنةِ

---

(١) أخرجه عبد الرزاق فى تفسيره ٢/٢٠٥ من طريق محمد بن سوقة بنحوه ، وعزاه السيوطى فى الدر المنثور ٦/٢٦ إلى ابن المنذر وابن أبى حاتم .

(٢) أخرجه البيهقى فى الشعب (٣٨٣٩) من طريق الليث به .

(٣) فى مصادر التخريج : « وقع » .

(٤) أخرجه عبد الله بن أحمد فى السنة (٨٨٧) ، والحاكم ٢/٤٤٨ ، ٤٤٩ ، والبيهقى فى الشعب (٣٦٦١) من طريق عثمان بن حكيم به ، وعزاه السيوطى فى الدر المنثور ٦/٢٥ إلى عبد بن حميد وابن المنذر وابن أبى حاتم .

الأُخرى .

ووُضِع : ﴿ حَكِيمٍ ﴾ موضعَ مُحْكَمٍ ، كما قال : ﴿ الٓمٓ ۝١ تِلْكَ ءَايَٰتُ ٱلْكِتَٰبِ ٱلْحَكِيمِ ﴾ [لقمان : ١، ٢] . يعنى : المحكَمِ .

/ وقولُه : ﴿ أَمْرًا مِّنْ عِندِنَآ ۚ إِنَّا كُنَّا مُرْسِلِينَ ﴾ . يقولُ تعالى ذكرُه : فى هذه ١١٠/٢٥
الليلةِ المباركةِ يُفْرَقُ كلُّ أمرٍ حكيمٍ ، أمرًا مِن عندِنا .

واختلَف أهلُ العربيةِ فى وجهِ نصبِ قولِه : ﴿ أَمْرًا ﴾ ؛ فقال بعضُ نحويِّى البصرةِ[1] : نُصِب على معنى : إنا أنزَلناه أمرًا ورحمةً ؛ على الحالِ . وقال بعضُ نحويِّى الكوفةِ[2] : نُصِب على معنى : يُفْرَقُ كلُّ أمرٍ فَرْقًا وأمرًا . قال : وكذلك قولُه : ﴿ رَحْمَةً مِّن رَّبِّكَ ۚ ﴾ . قال : ويجوزُ أن تُنصبَ الرحمةُ بوقوعِ ﴿ مُرْسِلِينَ ﴾ عليها ، فجعَل الرحمةَ النبىَّ ﷺ .

وقولُه : ﴿ إِنَّا كُنَّا مُرْسِلِينَ ﴾ . يقولُ تعالى ذكرُه : إنا كنا مُرْسِلى رسولِنا محمدٍ ﷺ إلى عبادِنا رحمةً مِن ربك يا محمدُ ، ﴿ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْعَلِيمُ ﴾ . يقولُ : إن اللَّهَ تبارَك وتعالى هو السميعُ لما يقولُ هؤلاء المشركون فيما أنزَلنا من كتابِنا ، وأرسَلنا من رسُلِنا[3] إليهم ، وغيرِ ذلك من مَنطقِهم ومَنطقِ غيرِهم ، العليمُ بما تَنطوى عليه ضمائرُهم ، وغيرِ ذلك من أمورِهم وأمورِ غيرِهم .

القولُ فى تأويلِ قولِه : ﴿ رَبِّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَآ ۖ إِن كُنتُم مُّوقِنِينَ ۝٧ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ يُحْىِۦ وَيُمِيتُ ۖ رَبُّكُمْ وَرَبُّ ءَابَآئِكُمُ ٱلْأَوَّلِينَ ۝٨ بَلْ

(١) فى الأصل ، ص ، م ، ت١ : « الكوفة » وهو خطأ . والبصرى هو الأخفش . ينظر قوله فى تفسير القرطبى ١٢٨/١٦ .

(٢) فى الأصل ، ص ، م ، ت١ ، ت٢ ، ت٣ : « البصرة » وهو خطأ . والكوفى هو الفراء . ينظر قوله فى معانى القرآن ٣٩/٣ .

(٣) فى ص ، ت١ ، ت٢ ، ت٣ : « رسولنا » .

هُمْ فِي شَكٍّ يَلْعَبُونَ ﴿٩﴾ ﴾ .

اختلَفتِ القرأةُ فى قراءةِ قولِه : ﴿ رَبِّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ﴾ ؛ فقرأَتْه عامةُ قرأَةِ المدينةِ والبصرةِ : (رَبُّ السَّمَاوَاتِ) بالرفعِ[(١)] على إتْباعِ إعرابِ « الربِّ » إعرابَ ﴿ ٱلسَّمِيعُ ٱلْعَلِيمُ ﴾ . وقرأَتْه عامةُ قرأَةِ الكوفةِ وبعضُ المكيِّين : ﴿ رَبِّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ ﴾ خفضًا[(٢)] ، ردًّا على « الربِّ » جلَّ جلالُه فى قولِه : ﴿ رَحْمَةً مِّن رَّبِّكَ ﴾ .

والصوابُ من القولِ فى ذلك أنهما قراءتان معروفتان صحيحتا المعنى ، فبأيَّتِهما قرَأ القارئُ فمصيبٌ .

ويعنى بقولِه : ﴿ رَبِّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَآ ﴾ . يقولُ تعالى ذكرُه : الذى أنزَل هذا الكتابَ يا محمدُ عليك ، وأرسَلك إلى هؤلاء المشركين رحمةً مِن ربِّك - مالكُ السماواتِ السبعِ[(٣)] والأرضِ وما بينَهما من الأشياءِ كلِّها .

وقولُه : ﴿ إِن كُنتُم مُّوقِنِينَ ﴾ . يقولُ : إن كنتم توقنون بحقيقةِ ما أخبَرْتُكم مِن أنَّ ربَّكم ربُّ السماواتِ والأرضِ ، فإن الذى أخبَرْتُكم من[(٤)] أن اللَّهَ[(٥)] الذى هذه الصفاتُ صفاتُه ، وأن هذا القرآنَ تنزيلُه ، ومحمدًا ﷺ رسولُه - حقٌّ يقينٌ ، فأيقِنوا به ، كما أيقَنتم بما توقنون به[(٤)] مِن حقائقِ الأشياءِ غيرِه .

وقولُه : ﴿ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ﴾ . يقولُ : لا معبودَ لكم أيُّها الناسُ غيرَ ربِّ السماواتِ والأرضِ وما بينَهما ، فلا تعبُدوا غيرَه ؛ فإنه لا تصلُحُ العبادةُ لغيرِه ، ولا تنبغِى لشىءٍ سواه ، ﴿ يُحْىِۦ وَيُمِيتُ ﴾ . يقولُ : هو الذى يُحْيى ما يشاءُ ، ويُميتُ ما

---

(١) وهى قراءة ابن كثير ونافع وأبى عمرو وابن عامر . السبعة لابن مجاهد ص ٥٩٢ .

(٢) وهى قراءة عاصم وحمزة والكسائى . المصدر السابق .

(٣) سقط من : ت٢، ت٣ .

(٤) سقط من : ص ، م ، ت١، ت٢، ت٣ .

(٥) بعده فى ص ، م ، ت١، ت٢، ت٣ : « هو » .

يشاءُ مما كان حيًّا .

وقولُه : ﴿ رَبُّكُمْ وَرَبُّ ءَابَآئِكُمُ ٱلْأَوَّلِينَ ﴾ . يقولُ : هو مالكُكم ومالكُ مَن مضَى قبلَكم مِن آبائِكم الأوّلين . يقولُ : فهذا الذى هذه صفتُه هو الربُّ فاعبُدوه دونَ آلهتِكم التى لا تقدِرُ على ضرٍّ ولا نفعٍ .

/ وقولُه : ﴿ بَلْ هُمْ فِى شَكٍّ يَلْعَبُونَ ﴾ . يقولُ تعالى ذكرُه : ما هم بموقنين ١١١/٢٥
بحقيقةِ ما يقالُ لهم ويُخْبَرون مِن هذه الأخبارِ ، يعنى بذلك مشركى قريشٍ ، [٦٤/٤٤ظ] ولكنهم فى شكٍّ منه ، فهم يَلْهُون بشكِّهم (١) فى الذى يُخْبَرون به مِن ذلك .

القولُ فى تأويلِ قوله : ﴿ فَٱرْتَقِبْ يَوْمَ تَأْتِى ٱلسَّمَآءُ بِدُخَانٍ مُّبِينٍ ﴿١٠﴾ يَغْشَى ٱلنَّاسَ هَـٰذَا عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿١١﴾ رَبَّنَا ٱكْشِفْ عَنَّا ٱلْعَذَابَ إِنَّا مُؤْمِنُونَ ﴿١٢﴾ ﴾ .

يعنى تعالى ذكرُه بقولِه : ﴿ فَٱرْتَقِبْ ﴾ : فانْتظِرْ يا محمدُ بهؤلاء المشركين من قومِك الذين هم فى شكٍّ يَلْعبُون . وإنما هو « افتعَل » ، من : رقَبْتُه : إذا انتظَرْتَه وحرَسْتَه .

وبنحوِ الذى قلنا فى ذلك قال أهلُ التأويلِ .

ذكرُ مَن قال ذلك

حدَّثنا بشرٌ ، قال : ثنا يزيدُ ، قال : ثنا سعيدٌ ، عن قتادةَ : ﴿ فَٱرْتَقِبْ ﴾ . أى : فانْتظِرْ (٢) .

وقولُه : ﴿ يَوْمَ تَأْتِى ٱلسَّمَآءُ بِدُخَانٍ مُّبِينٍ ﴾ . **اختلَف أهلُ التأويلِ** فى هذا اليومِ (٣) الذى أمَر اللَّهُ نبيَّه محمدًا ﷺ أن يرتقبَه ، وأخبرَه أن السماءَ تأتى فيه بدخانٍ

---

(١) فى الأصل : « لشكهم » .

(٢) أخرجه عبد بن حميد - كما فى التغليق ٤/ ٣١٠، ٣١١ من طريق شيبان عن قتادة به ، وعزاه السيوطى فى الدر المنثور ٦/ ٢٨ إلى المصنف .

(٣) سقط من : ص ، م ، ت١، ت٢، ت٣ .

مبينٍ ؛ أىُّ يومٍ هو ؟ ومتى هو ؟ وفى معنى الدُّخانِ الذى ذُكر فى هذا الموضعِ ؛ **فقال بعضُهم** : ذلك حينَ دعا رسولُ اللَّهِ على قريشٍ ربَّه أن يأخذَهم بسنين كسِنى يوسفَ ، فأُخِذوا بالمجاعةِ . قالوا : وعُنِى بالدُّخانِ ما كان يُصيبُهم حينَئذٍ فى أبصارِهم من شدَّةِ الجوعِ ؛ مِن الظُلمةِ كهيئةِ الدُّخانِ .

ذكرُ مَن قال ذلك

حدَّثنى عيسى بنُ عثمانَ بنِ عيسى الرَّمْلىُّ ، قال : ثنا يحيى بنُ عيسى ، عن الأعمشِ ، عن مسلمٍ ، عن مسروقٍ ، قال : دخَلْنا المسجدَ ، فإذا رجلٌ يقُصُّ على أصحابِه ويقولُ : ﴿ يَوْمَ تَأْتِى ٱلسَّمَآءُ بِدُخَانٍ مُّبِينٍ ﴾ . تدرون ما ذلك الدُّخانُ ؟ ذلك دُخانٌ يأتى يومَ القيامةِ ، فيأخُذُ بأسماعِ المنافقين وأبصارِهم ، ويأخُذُ المؤمنين منه شِبهُ الزُّكامِ . قال : فأَتيْنا ابنَ مسعودٍ ، فذكَرْنا ذلك له ، وكان مُضْطَجِعًا ، ففزِع فقعَد ، فقال : إن اللَّهَ قال لنبيِّكم : ﴿ قُلْ مَآ أَسْـَٔلُكُمْ عَلَيْهِ مِنْ أَجْرٍ وَمَآ أَنَا۠ مِنَ ٱلْمُتَكَلِّفِينَ ﴾ [ص : ٨٦] . إن مِن العلم أن يقولَ الرجلُ لما لا يعلَمُ : اللَّهُ أعلمُ . سأحدِّثُكم عن ذلك ؛ إن قريشًا لما أبطأَت عن الإسلامِ ، واستعصَتْ على رسولِ اللَّهِ ، دعا عليهم بسنين كسِنى يوسفَ ، فأصابهم من الجَهْدِ والجوعِ حتى أكَلوا العظامَ والميتةَ ، وجعَلوا يرفعون أبصارَهم إلى السماءِ ، فلا يَرَوْن إلا الدُّخانَ ، قال اللَّهُ تبارَك وتعالى : ﴿ يَوْمَ تَأْتِى ٱلسَّمَآءُ بِدُخَانٍ مُّبِينٍ ﴿١٠﴾ يَغْشَى ٱلنَّاسَ ۖ هَٰذَا عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴾ . فقالوا : ﴿ رَبَّنَا ٱكْشِفْ عَنَّا ٱلْعَذَابَ إِنَّا مُؤْمِنُونَ ﴾ . قال اللَّهُ : ﴿ إِنَّا كَاشِفُوا۟ ٱلْعَذَابِ قَلِيلًا ۚ إِنَّكُمْ عَآئِدُونَ ﴿١٥﴾ يَوْمَ نَبْطِشُ ٱلْبَطْشَةَ ٱلْكُبْرَىٰ ۚ إِنَّا مُنتَقِمُونَ ﴾ [الدخان : ١٥، ١٦] . قال : فعادوا يومَ بدرٍ ، فانتقَم اللَّهُ منهم[1] .

---

(١) أخرجه الطيالسى (٢٩١، ٢٩٢) ، والحميدى (١١٦) ، وأحمد ١٧٩/٧ (٤١٠٤) ، والبخارى (٤٨٢٢ - ٤٨٢٣) ، ومسلم (٢٧٩٨/٤٠) ، والطحاوى فى مشكل الآثار (٩٦٣)، والطبرانى فى الكبير (٩٠٤٦) ، والبيهقى فى الدلائل ٢/ ٣٢٤، ٣٢٥، والبغوى فى تفسيره ٢٢٩/٧ من طريق الأعمش به .

/ **حدَّثنى** عبدُ اللَّهِ بنُ محمدٍ الزهرىُّ ، قال : ثنا مالكُ بنُ سُعَيرٍ ، قال : ثنا ١١٢/٢٥
الأعمشُ ، عن مسلمٍ ، عن مسروقٍ ، قال : كان فى المسجدِ رجلٌ يُذكِّرُ الناسَ . فذكَر نحوَ حديثِ عيسى ، عن يحيى بنِ عيسى ، إلا أنه قال : فانتقَم يومَ بدرٍ ، وهى البطشةُ الكبرى .

حدَّثنا ابنُ حميدٍ وعمرُو بنُ عبدِ الحميدِ ، قالا : ثنا جريرٌ ، عن منصورٍ ، عن أبى الضُّحى مسلمِ بنِ صُبَيْحٍ ، عن مسروقٍ ، قال : كنا عندَ عبدِ اللَّهِ بنِ مسعودٍ جلوسًا ، وهو مُضْطَجِعٌ بيننا . قال : فأتاه رجلٌ فقال : يا أبا عبدِ الرحمنِ ، إن قاصًّا عندَ أبوابِ كِنْدَةَ يقُصُّ ، ويزعُم أن آيةَ الدُّخانِ تجىءُ فتأخذُ بأنفاسِ الكفارِ ، ويأخذُ المؤمنين منه كهيئةِ الزُّكامِ* . فقام عبدُ اللَّهِ وجلَس وهو غضبانُ ، فقال : يا أيُّها الناسُ ، اتقوا اللَّهَ ، فمن علِم شيئًا فليقُلْ بما يعلَمُ ، ومَن لا يعلمُ فليقُل : اللَّهُ أعلمُ . وقال عمرٌو : فإنه أعلمُ لأحدِكم أن يقولَ لما لا يعلمُ : اللَّهُ أعلمُ . وما على أحدِكم أن يقولَ لما لا يعلمُ : لا أعلمُ . فإنّ اللَّهَ عزّ وجلّ يقولُ لنبيِّه محمدٍ ﷺ : ﴿ قُلْ مَآ أَسْـَٔلُكُمْ عَلَيْهِ مِنْ أَجْرٍ وَمَآ أَنَا۠ مِنَ ٱلْمُتَكَلِّفِينَ ﴾ [ص : ٨٦] . إن النبىَّ ﷺ لما رأى مِن الناسِ إدبارًا ، قال : « اللّهمّ سبعًا كسبعِ يوسفَ » . فأخذَتْهم سَنَةٌ حَصَّتْ[1] كلَّ شىءٍ ، حتى أكَلوا الجلودَ والمَيتةَ والجِيَفَ ، ينظُرُ أحدُهم إلى السماءِ فيَرى دُخانًا من الجوعِ ، فأتاه أبو سفيانَ بنُ حربٍ ، فقال : يا محمدُ ، إنك جئتَ تأمُرُنا بالطاعةِ وبصلةِ الرَّحِم ، وإنّ قومَك قد هلَكوا ، فادعُ اللَّهَ لهم . قال اللَّهُ عزّ وجلّ : ﴿ فَٱرْتَقِبْ يَوْمَ تَأْتِى ٱلسَّمَآءُ بِدُخَانٍ مُّبِينٍ ﴾ . إلى قولِه : ﴿ إِنَّكُمْ عَآئِدُونَ ﴾ . قال : فكُشِف عنهم ، ﴿ يَوْمَ نَبْطِشُ ٱلْبَطْشَةَ ٱلْكُبْرَىٰٓ إِنَّا مُنتَقِمُونَ ﴾ : فالبَطْشةُ يومُ بدرٍ ، وقد مضَت آيةُ الرومِ ، وآيةُ الدُّخانِ ، والبَطْشةُ ،

---

* بعده خرم فى نسخة خزانة القرويين ، وينتهى فى ص ٧٠ .

(١) حصَّت : أذهبت . اللسان (ح ص ص) .

واللِّزامُ[١] .

حدَّثنى أبو السائبِ ، قال : ثنا أبو معاويةَ ، عن الأعمشِ ، عن مسلمٍ ، عن مسروقٍ ، قال : قال عبدُ اللَّهِ : خمسٌ قد مَضَين ؛ الدُّخانُ ، واللِّزامُ ، والبطشةُ ، والقمرُ ، والرومُ[٢] .

حدَّثنا أبو كريبٍ ، قال : ثنا أبو بكرِ بنُ عياشٍ ، عن عاصمٍ ، قال : شهِدتُ جِنازةً فيها زيدُ بنُ عليٍّ ، فأنشأ يُحدِّثُ يومَئذٍ فقال : إن الدُّخانَ يجيءُ قبلَ يومِ القيامةِ ، فيأخُذُ بأَنْفِ المؤمنِ الزُّكامُ ، ويأخذُ بمسامعِ الكافرِ . قال : قلتُ : رحِمك اللَّهُ ، إن صاحبَنا عبدَ اللَّهِ قد قال غيرَ هذا ، قال : إن الدُّخانَ قد مضَى . وقرَأ هذه الآيةَ : ﴿ فَٱرْتَقِبْ يَوْمَ تَأْتِى ٱلسَّمَآءُ بِدُخَانٍ مُّبِينٍ ﴿١٠﴾ يَغْشَى ٱلنَّاسَ هَٰذَا عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾ . قال : أصاب الناسَ جَهْدٌ ، حتى جعَل الرجلُ يَرى ما بينَه وبينَ السماءِ دخانًا ، فذلك قولُه : ﴿ فَٱرْتَقِبْ ﴾ . وكذا قرَأ عبدُ اللَّهِ إلى قولِه : ﴿ مُّؤْمِنُونَ﴾ . قال : ﴿ إِنَّا كَاشِفُوا۟ ٱلْعَذَابِ قَلِيلًا إِنَّكُمْ عَآئِدُونَ ﴾ [الدخان : ١٥] . قلتُ لزيدٍ : فعادوا ، فأعاد اللَّهُ عليهم بدرًا ، فذلك قولُه : ﴿ وَإِنْ عُدتُّمْ عُدْنَا ﴾ [الإسراء : ٨] . فذلك يومَ بدرٍ . قال : فقيلَ واللَّهِ ، قال عاصمٌ ، فقال رجلٌ يردُّ عليه ، فقال زيدٌ رحمةُ اللَّهِ عليه : أمَا إنّ رسولَ اللَّهِ ﷺ قد قال : « إنكم سَيَجِيئُكم رُواةٌ ، فما وافَق القُرآنَ فخُذُوا به ، وما كان غيرَ ذلك فَدَعُوه »[٣] .

---

(١) أخرجه البخارى (١٠٠٧) ، ومسلم (٣٩/٢٧٩٨) ، وأبو يعلى (٥١٤٥) من طريق جرير به ، وأخرجه عبد الرزاق فى تفسيره ٢/ ٢٠٥ ، وأحمد ٢٥٧/٧ (٤٢٠٦) ، والبخارى (٤٨٢٤) ، والترمذى (٣٢٥٤) ، وابن حبان (٦٥٨٥) ، والطبرانى فى الكبير (٩٠٤٨) ، وأبو نعيم فى الدلائل (٣٦٩) ، والبيهقى فى الدلائل ٢/ ٣٢٦ ، والبغوى فى تفسيره ٢٢٩/٧ من طريق منصور به ، وعزاه السيوطى فى الدر المنثور ٢٨/٦ إلى سعيد بن منصور وعبد بن حميد وابن المنذر وابن أبى حاتم وابن مردويه .

(٢) تقدم تخريجه فى ٥٣٨/١٧ .

(٣) آخره المرفوع أخرجه الدارقطنى فى السنن ٤/ ٢٠٨ ، ٢٠٩ من طريق أبى بكر بن عياش ، وقال : الصواب =

حدَّثنا ابنُ المثنى ، قال : ثنا ابنُ عبدِ الأعلى ، قال : ثنا داودُ ، عن عامرٍ ، عن ابنِ مسعودٍ أنه قال : البَطْشةُ الكبرى يومَ بدرٍ ، وقد مضَى الدُّخانُ[١] .

/ حدَّثنا ابنُ بشارٍ ، قال : ثنا ابنُ أبى عديٍّ ، عن عوفٍ ، قال : سمِعتُ أبا العاليةِ ١١٣/٢٥ يقولُ : إنّ الدُّخانَ قد مضَى[٢] .

حدَّثنا ابنُ حميدٍ ، قال : ثنا سلمةُ ، عن عمرٍو ، عن مغيرةَ ، عن إبراهيمَ ، قال : مضَى الدُّخانُ لسنينَ أصابتهم[٣] .

حدَّثنى يعقوبُ بنُ إبراهيمَ ، قال : ثنا ابنُ عليةَ ، قال : ثنا أيوبُ ، عن محمدٍ ، قال : نُبِّئتُ أنّ ابنَ مسعودٍ كان يقولُ : قد مضَى الدُّخانُ ، كان سنينَ كسِنى يوسفَ[٣] .

حدَّثنى محمدُ بنُ عمرٍو ، قال : ثنا أبو عاصمٍ ، قال : ثنا عيسى ، وحدَّثنى الحارثُ ، قال : ثنا الحسنُ ، قال : ثنا ورقاءُ ، جميعًا عن ابنِ أبى نجيحٍ ، عن مجاهدٍ : ﴿يَوْمَ تَأْتِي ٱلسَّمَآءُ بِدُخَانٍ مُّبِينٍ﴾ . قال : الجَدْبُ وإمساكُ المطرِ عن كفارِ قريشٍ . إلى قولِه : ﴿إِنَّا مُؤْمِنُونَ﴾[٤] .

حدَّثنا بشرٌ ، قال : ثنا يزيدُ ، قال : ثنا سعيدٌ ، عن قتادةَ : ﴿يَوْمَ تَأْتِي ٱلسَّمَآءُ بِدُخَانٍ مُّبِينٍ﴾ . قال : كان ابنُ مسعودٍ يقولُ : قد مضَى الدُّخانُ ، وكان سنينَ

= عن عاصم عن زيد عن على بن الحسين مرسلًا عن النبى ﷺ .

(١) تقدم مطولًا من طريق آخر عن ابن مسعود ص ١٤.

(٢) عزاه السيوطى فى الدر المنثور ٢٨/٦ إلى المصنف وعبد بن حميد .

(٣) ذكره ابن كثير فى تفسيره ٧/ ٢٣٣.

(٤) تفسير مجاهد ٥٩٧ ، وعزاه السيوطى فى الدر المنثور - كما فى المخطوطة الأحمدية ص٣٧٧ - إلى عبد بن حميد وابن المنذر .

كسِنى يوسفَ ، ﴿ يَغْشَى ٱلنَّاسَ هَٰذَا عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴾ .

حدِّثتُ عن الحسينِ ، قال : سمِعتُ أبا معاذٍ يقولُ : أخبَرنا عبيدٌ ، قال : سمِعتُ الضحاكَ يقولُ فى قولِه : ﴿ يَوْمَ تَأْتِى ٱلسَّمَآءُ بِدُخَانٍ مُّبِينٍ ﴾ : قد مضَى شأنُ الدُّخانِ[(١)] .

حدَّثنا ابنُ حميدٍ ، قال : ثنا جريرٌ ، عن مغيرةَ ، عن إبراهيمَ ، عن عبدِ اللَّهِ : ﴿ يَوْمَ نَبْطِشُ ٱلْبَطْشَةَ ٱلْكُبْرَىٰٓ ﴾ . قال : يومَ بدرٍ[(٢)] .

وقال آخرون : الدُّخانُ آيةٌ مِن آياتِ اللَّهِ ، مرسَلةٌ على عبادِه قبلَ مجيءِ الساعةِ ، فيدخُلُ فى أسماعِ أهلِ الكفرِ به ، ويعترِى أهلَ الإيمانِ به [٢/٧٩٧ظ] كهيئةِ الزُّكامِ . قالوا : ولم يأْتِ بعدُ ، وهو آتٍ .

ذكرُ مَن قال ذلك

حدَّثنى واصلُ بنُ عبدِ الأعلى ، قال : ثنا ابنُ فُضَيلٍ ، عن الوليدِ بنِ جُميعٍ ، عن عبدِ الملكِ بنِ المغيرةِ ، عن عبدِ الرحمنِ بنِ البيلمانىِّ[(٣)] ، عن ابنِ عمرَ ، قال : يخرُجُ الدُّخانُ ، فيأخذُ المؤمنَ كهيئةِ الزُّكْمةِ[(٤)] ، ويدخُلُ فى مسامعِ الكافرِ والمنافقِ حتى يكونَ كالرأْسِ الحَنِيذِ[(٥)] .

حدَّثنى يعقوبُ بنُ إبراهيمَ ، قال : ثنا ابنُ عليةَ ، عن ابنِ جريجٍ ، عن عبدِ اللَّهِ بنِ

---

(١) ذكره ابن كثير فى تفسيره ٧/ ٢٣٣.

(٢) تقدم تخريجه ١٧/ ٥٤٠.

(٣) فى م : « البيلمان » ، وفى ت ١، ت ٢، ت ٣: « السليمانى » .

(٤) فى ت٢، وتفسير ابن كثير : « الزكام » .

(٥) عزاه ابن كثير فى تفسيره ٧/ ٢٣٥ إلى المصنف ، وعزاه السيوطى فى الدر المنثور ٦/ ٢٩ إلى المصنف .

أبى مُليكةَ ، قال : غدوتُ على ابنِ عباسٍ ذاتَ يومٍ ، فقال : ما نمتُ الليلةَ حتى أصبحتُ . قلتُ : لمَ ؟ قال : قالوا : طلَع الكوكبُ ذو الذَّنَبِ ، فخشِيتُ أن يكونَ الدُّخانُ قد طَرَق ، فما نمتُ حتى أصبحتُ[1] .

حدَّثنا محمدُ بنُ بَزيعٍ ، قال : ثنا بشرُ بنُ المُفَضّلِ ، عن عوفٍ ، قال : قال الحسنُ : إنّ الدُّخانَ قد بَقِى مِن الآياتِ ، فإذا جاء الدُّخانُ نَفَخ الكافرَ حتى يَخْرُجَ مِن كلِّ سمعٍ مِن مسامعِه ، ويأخذُ المؤمنَ كزَكْمةٍ[2] .

حدَّثنا ابنُ بشارٍ ، قال : ثنا عثمانُ ، يعنى ابنَ الهيثمِ ، قال : ثنا عوفٌ ، عن الحسنِ بنحوِه .

حدَّثنا بشرٌ ، قال : ثنا يزيدُ ، قال : ثنا سعيدٌ ، عن قتادةَ ، عن الحسنِ ، عن أبى سعيدٍ ، قال : يَهِيجُ الدُّخانُ بالناسِ ؛ فأمّا المؤمنُ فيأخذُه منه كهيئةِ الزُّكْمةِ ، وأما الكافرُ فيَهِيجُه حتى يخرُجَ من كلِّ مِسْمَعٍ منه . قال : وكان بعضُ أهلِ العلمِ يقولُ : فما مَثَلُ الأرضِ يومَئذٍ إلا كمَثَلِ بيتٍ أُوقِد فيه ليس فيه خَصاصةٌ[3] .

/ **حدَّثنى** عصامُ بنُ رَوّادِ بنِ الجرّاحِ ، قال : ثنى أبى ، قال : ثنا سفيانُ بنُ سعيدٍ ١١٤/٢٥
الثوريُّ ، قال : ثنا منصورُ بنُ المعتمرِ ، عن رِبْعِيِّ بنِ حِراشٍ ، قال : سمِعتُ حُذيفةَ بنَ اليمانِ يقولُ : قال رسولُ اللَّهِ ﷺ : « أوّلُ الآياتِ الدَّجّالُ ، ونُزُولُ عيسى ابنِ مريمَ ،

---

(١) أخرجه عبد الرزاق فى تفسيره ٢/ ٢٠٦، والحاكم ٤/ ٤٥٩ من طريق ابن جريج به ، وأخرجه ابن أبى حاتم فى تفسيره - كما فى تفسير ابن كثير ٧/ ٢٣٥- من طريق ابن أبى مليكة به ، وعزاه السيوطى فى الدر المنثور ٦/ ٢٩ إلى عبد بن حميد وابن المنذر .

(٢) عزاه السيوطى فى الدر المنثور ٦/ ٢٩ إلى عبد بن حميد .

(٣) الخصاصة : الفرجة أو الخلل . اللسان (خ ص ص) .

والأثر أخرجه ابن أبى حاتم - كما فى تفسير ابن كثير ٧/ ٢٣٤ - من طريق الحسن به مرفوعًا ، وعزاه السيوطى فى الدر المنثور ٦/ ٢٩ إلى عبد بن حميد .

ونارٌ تَخْرُجُ مِن قَعْرِ عَدَنِ أَبْيَنَ ، تَسُوقُ الناسَ إلى المَحْشَرِ ، تَقِيلُ معهم إذا قالوا ، والدُّخانُ ». قال حذيفةُ : يا رسولَ اللَّهِ ، وما الدُّخانُ ؟ فتلا رسولُ اللَّهِ ﷺ الآيةَ : « ﴿ يَوْمَ تَأْتِي ٱلسَّمَآءُ بِدُخَانٍ مُّبِينٍ ﴿١٠﴾ يَغْشَى ٱلنَّاسَ هَٰذَا عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴾ - يملأُ ما بينَ المشرقِ والمغربِ ، يَمكُثُ أربعينَ يومًا وليلةً ؛ أما المؤمنُ فيُصِيبُه منه كهيئةِ الزُّكامِ ، وأما الكافرُ كمنزلةِ السَّكرانِ يخرُجُ مِن مَنْخَرَيْه وأُذُنَيْه ودُبُرِه »[1] .

حدَّثنى محمدُ بنُ عوفٍ ، قال : ثنا محمدُ بنُ إسماعيلَ بنِ عياشٍ ، قال : ثنى أبى ، قال : ثنى ضَمْضَمُ بنُ زُرْعةَ ، عن شريحِ بنِ عُبيدٍ ، عن أبى مالكٍ الأشعرىِّ ، قال : قال رسولُ اللَّهِ ﷺ : « إنّ ربَّكم أنْذَركم ثلاثًا ؛ الدُّخانُ يأخذُ المؤمنَ كالزُّكْمَةِ ، ويأخذُ الكافرَ فيَنْتَفِخُ حتى يخرُجَ مِن كلِّ مِسْمَعٍ منه ، والثانيةُ الدَّابَّةُ ، والثالثةُ الدَّجَّالُ »[2] .

وأولى القولين بالصوابِ فى ذلك ما رُوى عن ابنِ مسعودٍ ، من أنَّ الدُّخانَ الذى أمر اللَّهُ نبيَّه ﷺ أن يرتقِبَه ، هو ما أصاب قومَه من الجَهْدِ بدعائِه عليهم ، على ما وصَفه ابنُ مسعودٍ مِن ذلك ، إن لم يكنْ خبرُ حذيفةَ الذى ذكَرْناه عنه عن رسولِ اللَّهِ ﷺ صحيحًا ، وإن كان صحيحًا ، فرسولُ اللَّهِ ﷺ أعلمُ بما أنزَل اللَّهُ عليه ، وليس لأحدٍ مع قولِه الذى يَصِحُّ عنه قولٌ .

وإنما لم أشهدْ له بالصِّحةِ ؛ لأن محمدَ بنَ خلفٍ العسقلانىَّ حدَّثنى أنه سأل روّادًا عن هذا الحديثِ ، هل سمِعه من سفيانَ ؟ فقال له : لا . فقلتُ له : فقرأْتَه

---

(١) أخرجه البغوى فى تفسيره ٧/٢٣٠ من طريق المصنف به ، وتقدم أوله ١٦/٣٩٧، ٣٩٨.

(٢) أخرجه الطبرانى (٣٤٤٠) ، وفى مسند الشاميين ٢/٤٤٢ من طريق محمد بن إسماعيل به .

عليه ؟ فقال : لا . فقلتُ له : فقُرئَ عليه وأنت حاضرٌ فأقرَّ بهِ ؟ فقال : لا . فقلتُ له : فمِن أين جئتَ به ؟ قال : جاءنى به قومٌ فعرَضوه علىَّ ، وقالوا لى : اسمعْه منا . فقرءُوه علىَّ ، ثم ذهَبوا ، فحدَّثوا به عنى . أو كما قال ، فلِمَا ذكَرتُ من ذلك لم أشهدْ له بالصِّحةِ .

وإنما قلتُ : القولُ الذى قاله عبدُ اللَّهِ بنُ مسعودٍ هو أولى بتأويلِ الآيةِ ؛ لأنَّ اللَّهَ جلّ ثناؤُه توعَّد بالدُّخَانِ مشركى قريشٍ ، وأنَّ قولَه لنبيِّه محمدٍ ﷺ : ﴿ فَٱرْتَقِبْ يَوْمَ تَأْتِى ٱلسَّمَآءُ بِدُخَانٍ مُّبِينٍ﴾ . فى سياقِ خطابِ اللَّهِ كفارَ قريشٍ وتقريعِه إياهم [٢/٧٩٨و] بشِرْكِهم بقولِه : ﴿ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ يُحْىِۦ وَيُمِيتُ رَبُّكُمْ وَرَبُّ ءَابَآئِكُمُ ٱلْأَوَّلِينَ ﴿٨﴾ بَلْ هُمْ فِى شَكٍّ يَلْعَبُونَ ﴾ [الدخان : ٨ ، ٩] . ثم أَتْبع ذلك قولَه لنبيِّه عليه الصلاةُ والسلامُ : ﴿ فَٱرْتَقِبْ يَوْمَ تَأْتِى ٱلسَّمَآءُ بِدُخَانٍ مُّبِينٍ﴾ - أمرًا منه له بالصبرِ إلى أنْ يأتيَهم بأْسُه ، وتهديدًا للمشركين ، فهو بأنْ يكونَ إذ كان وعيدًا لهم قد أحَلَّه بهم ، أشبهُ مِن أنْ يكونَ أخَّرَه عنهم لغيرِهم .

وبعدُ ، فإنه غيرُ مُنكَرٍ أن يكونَ أحلَّ بالكفارِ الذين توعَّدهم بهذا الوعيدِ ما توعَّدهم ، ويكونَ مُحِلًّا فيما يُستأنَفُ بعدُ بآخرين دُخَانًا ، على ما جاءت به الأخبارُ عن رسولِ اللَّهِ ﷺ عندَنا كذلك ؛ لأن الأخبارَ عن رسولِ اللَّهِ ﷺ قد تَظَاهَرتْ /بأن ذلك كائنٌ ، فإنه قد كان ما رَوى عنه عبدُ اللَّهِ بنُ مسعودٍ ، فكلا الخبرَين اللذَين رُويا عن رسولِ اللَّهِ ﷺ صحيحٌ . وإن كان تأويلُ الآيةِ فى هذا الموضعِ ما قلنا . ١١٥/٢٥

فإذ كان الذى قلنا فى ذلك أولى التأويلين ، فبيِّنٌ أن معناه : فانتظِرْ يا محمدُ لمشركى قومِك يومَ تأتيهم السماءُ مِن البلاءِ الذى يحُلُّ بهم على كفرِهم ، بمثلِ الدُّخانِ المُبِينِ لمن تأمَّله أنه دُخانٌ .

﴿ يَغْشَى ٱلنَّاسَ﴾ . يقولُ : يغشى أبصارَهم من الجَهْدِ الذى يُصِيبُهم ،

﴿ هَـٰذَا عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴾ . يعنى أنهم يقولون مما ينالُهم من ذلك الكربِ والجَهْدِ : هذا عذابٌ أليمٌ . وهو الموجِعُ ، وتُرِك مِن الكلامِ « يقولون » ، اسْتِغْناءً بمعرفةِ السامعين معناه مِن ذكرِها .

وقولُه : ﴿ رَبَّنَا ٱكْشِفْ عَنَّا ٱلْعَذَابَ ﴾ . يعنى أنَّ الكافرين الذين يُصيبُهم ذلك الجَهْدُ يَضْرَعون إلى ربِّهم ، بمسْألتِهم إياه كشفَ ذلك الجَهْدِ عنهم ، ويقولون : إنك إنْ كشَفْتَه عنا آمنَّا بك وعبَدناك مِن دونِ كلِّ معبودٍ سواك . كما أخبَر عنهم جلَّ ثناؤُه : ﴿ رَبَّنَا ٱكْشِفْ عَنَّا ٱلْعَذَابَ إِنَّا مُؤْمِنُونَ ﴾ .

القولُ فى تأويلِ قولِه تعالى : ﴿ أَنَّىٰ لَهُمُ ٱلذِّكْرَىٰ وَقَدْ جَآءَهُمْ رَسُولٌ مُّبِينٌ ﴿١٣﴾ ثُمَّ تَوَلَّوْا۟ عَنْهُ وَقَالُوا۟ مُعَلَّمٌ مَّجْنُونٌ ﴿١٤﴾ إِنَّا كَاشِفُوا۟ ٱلْعَذَابِ قَلِيلًا إِنَّكُمْ عَآئِدُونَ ﴿١٥﴾ ﴾ .

يقولُ تعالى ذكرُه : مِن أىِّ وجهٍ لهؤلاء المشركين التَّذكُّرُ[1] مِن بعدِ نزولِ البلاءِ بهم ، وقد تولَّوا عن رسولِنا حينَ جاءهم ، مُدبِرين عنه ، لا يتذكَّرون بما يُتلى عليهم مِن كتابِنا ، ولا يتَّعِظون بما يعظُهم به مِن حُجَجِنا ، ويقولون : إنما هو مجنونٌ عُلِّم[2] هذا الكلامَ .

وبنحوِ الذى قلنا فى تأويلِ قولِه : ﴿ أَنَّىٰ لَهُمُ ٱلذِّكْرَىٰ ﴾ قال أهلُ التأويلِ .

ذكرُ مَن قال ذلك

حدَّثنى علىٌّ ، قال : ثنا أبو صالحٍ ، قال : ثنى معاويةُ ، عن علىٍّ ، عن ابنِ عباسٍ

---

(١) فى ص ، ت ١ ، ت ٢ ، ت ٣ : « التذكير » .

(٢) فى ص ، ت ١ ، ت ٢ ، ت ٣ : « على » . والمثبت من : م ، وقد أثبته مراجع المطبوعة هكذا ليستقيم السياق ، على اعتبار أن لفظة (على) محرفة عن (علم) فى نسخته المخطوطة .

فى قولِه : ﴿ أَنَّىٰ لَهُمُ ٱلذِّكْرَىٰ ﴾ . يقولُ : كيف لهم[١] ؟

حدَّثنى محمدُ بنُ عمرٍو ، قال : ثنا أبو عاصمٍ ، قال : ثنا عيسى ، **وحدَّثنى** الحارثُ ، قال : ثنا الحسنُ ، قال : ثنا ورقاءُ ، جميعًا عن ابنِ أبى نجيحٍ ، عن مجاهدٍ : ﴿ أَنَّىٰ لَهُمُ ٱلذِّكْرَىٰ ﴾ : بعدَ وقوعِ هذا البلاءِ[٢] .

وبنحوِ الذى قلنا أيضًا فى قولِه : ﴿ ثُمَّ تَوَلَّوْا۟ عَنْهُ وَقَالُوا۟ مُعَلَّمٌ مَّجْنُونٌ ﴾ قال أهلُ التأويلِ .

ذكرُ مَن قال ذلك

حدَّثنى محمدُ بنُ عمرٍو ، قال : ثنا أبو عاصمٍ ، قال : ثنا عيسى ، **وحدَّثنى** الحارثُ ، قال : ثنا الحسنُ ، قال : ثنا ورقاءُ ، جميعًا عن ابنِ أبى نجيحٍ ، عن مجاهدٍ : ﴿ ثُمَّ تَوَلَّوْا۟ عَنْهُ وَقَالُوا۟ مُعَلَّمٌ مَّجْنُونٌ ﴾ . قال : تولَّوا عن محمدٍ عليه السلامُ ، وقالوا : معلَّمٌ مجنونٌ[٢] .

/ وقولُه : ﴿ إِنَّا كَاشِفُوا۟ ٱلْعَذَابِ قَلِيلًا ۚ إِنَّكُمْ عَآئِدُونَ ﴾ . يقولُ تعالى ذكرُه لهؤلاء ١١٦/٢٥
المشركين الذين أخبرَ عنهم أنهم يستغيثون به مِن الدُّخانِ النازلِ ، والعذابِ الحالِّ بهم مِن الجَهْدِ ، وأخبرَ عنهم أنهم يعاهِدونه أنه إنْ كشَف العذابَ عنهم آمنوا : ﴿ إِنَّا كَاشِفُوا۟ ٱلْعَذَابِ ﴾ . يعنى : الضرِّ النازلِ بهم ، بالخِصْبِ الذى نُحدثُه لهم قليلًا ، ﴿ إِنَّكُمْ عَآئِدُونَ ﴾ . يقولُ : إنكم أيُّها المشركون إذا كشَفْتُ عنكم ما بكم من ضرٍّ ، لم تفُوا بما تعِدون وتعاهِدون عليه ربَّكم مِن الإيمانِ ، ولكنَّكم تعُودون فى ضلالِكم وغيِّكم ، كما كنتم قبلَ أن يُكْشَفَ عنكم .

---

(١) تقدم تخريجه فى ١٩/ ٣١٥.

(٢) تفسير مجاهد ص ٥٩٧، وعزاه السيوطى فى الدر المنثور ٦/ ٢٨ إلى عبد بن حميد وابن المنذر .

وكان قتادةُ يقولُ : معناه : إنكم عائدون فى عذابِ اللَّهِ . **حدَّثنا** بذلك ابنُ عبدِ الأعلى ، قال : ثنا ابنُ ثورٍ ، عن معمرٍ ، عنه[(١)] .

وأما الذين قالوا : عُنِى بقولِه : ﴿ يَوْمَ تَأْتِى ٱلسَّمَآءُ بِدُخَانٍ مُّبِينٍ ﴾ . الدخانُ نفسُه . فإنهم قالوا فى هذا الموضعِ : عُنِى بالعذابِ الذى قال : ﴿ إِنَّا كَاشِفُوا۟ ٱلْعَذَابِ ﴾ . الدخانُ .

ذكرُ مَن قال ذلك

حدَّثنا بشرٌ ، قال : ثنا يزيدُ ، قال : ثنا سعيدُ ، عن قتادةَ : ﴿ إِنَّا كَاشِفُوا۟ ٱلْعَذَابِ قَلِيلًا ﴾ . يعنى : الدُّخانِ[(٢)] .

حدَّثنى يونسُ ، قال : أخبَرنا ابنُ وهبٍ ، قال : قال ابنُ زيدٍ فى قولِه : ﴿ إِنَّا كَاشِفُوا۟ ٱلْعَذَابِ قَلِيلًا ﴾ [٢/٧٩٨ظ] . قال : قد فعَل ، كشَف الدُّخانَ حينَ كان . قولَه : ﴿ إِنَّكُمْ عَآئِدُونَ ﴾ . قال : كُشِف عنهم فعادوا .

حدَّثنا ابنُ عبدِ الأعلى ، قال : ثنا ابنُ ثورٍ ، عن معمرٍ ، عن قتادةَ : ﴿ إِنَّكُمْ عَآئِدُونَ ﴾ : إلى عذابِ اللَّهِ[(١)] .

القولُ فى تأويلِ قولِه تعالى : ﴿ يَوْمَ نَبْطِشُ ٱلْبَطْشَةَ ٱلْكُبْرَىٰٓ إِنَّا مُنتَقِمُونَ ﴿١٦﴾ وَلَقَدْ فَتَنَّا قَبْلَهُمْ قَوْمَ فِرْعَوْنَ وَجَآءَهُمْ رَسُولٌ كَرِيمٌ ﴿١٧﴾ أَنْ أَدُّوٓا۟ إِلَىَّ عِبَادَ ٱللَّهِ إِنِّى لَكُمْ رَسُولٌ أَمِينٌ ﴿١٨﴾ ﴾ .

---

(١) أخرجه عبد الرزاق فى تفسيره ٢/٢٠٧ من طريق معمر به ، وعزاه السيوطى فى الدر المنثور ٦/٢٨ إلى عبد بن حميد وابن المنذر .

(٢) عزاه السيوطى فى الدر المنثور ٦/٢٨ إلى المصنف وعبد بن حميد وابن المنذر .

يقولُ تعالى ذكرُه : إنكم أيُّها المشركون إن كشفْتُ عنكم العذابَ النازلَ بكم ، والضرَّ الحالَّ بكم[(١)] ، ثم عُدْتم فى كفرِكم ، ونقَضْتم عهدَكم الذى عاهَدْتم ربَّكم ، انتقَمْتُ منكم يومَ أبطِشُ بكم بَطْشتىَ الكبرى فى عاجلِ الدنيا ، فأُهلِكُكم . وكشَف اللَّهُ عنهم ، فعادوا ، فبطَش بهم جلّ ثناؤُه بطشتَه الكبرى فى الدنيا ، فأهلَكهم قتلًا بالسيفِ .

وقد اختلَف أهلُ التأويلِ فى البطشةِ الكبرى ؛ **فقال بعضُهم** : هى بطشةُ اللَّهِ بمشركى قريشٍ يومَ بدرٍ .

ذكرُ مَن قال ذلك

حدَّثنا ابنُ المثنى ، قال : ثنى ابنُ عبدِ الأعلى ، قال : ثنا داودُ ، عن عامرٍ ، عن ابنِ مسعودٍ أنه قال : البطشةُ الكبرى يومَ بدرٍ .

حدَّثنى عبدُ اللَّهِ بنُ محمدٍ الزهرىُّ ، قال : ثنا مالكُ بنُ سُعيرٍ ، قال : ثنا الأعمشُ ، عن مسلمٍ ، عن مسروقٍ ، قال : قال [(٢)]عبدُ اللَّهِ[(٢)] : يومُ بدرٍ ، يومُ البطشةِ الكبرى[(٣)] .

/ **حدَّثنى** يعقوبُ ، قال : ثنا ابنُ علية ، قال : ثنا أيوبُ ، عن محمدٍ ، قال : ١١٧/٢٥
نُبِّئتُ أنّ ابنَ مسعودٍ كان يقولُ : ﴿ يَوْمَ نَبْطِشُ ٱلْبَطْشَةَ ٱلْكُبْرَىٰٓ ﴾ : يومَ بدرٍ .

حدَّثنى يعقوبُ ، قال : ثنا ابنُ علية ، عن ليثٍ ، عن مجاهدٍ : ﴿ يَوْمَ نَبْطِشُ ٱلْبَطْشَةَ ٱلْكُبْرَىٰٓ ﴾ . قال : يومَ بدرٍ .

---

(١) بعده فى ت١ : « فى عاجل الدنيا » .

(٢ - ٢) سقط من : م ، ت ١ .

(٣) تقدم فى ص١٤ ، ١٥ .

حدَّثنى محمدُ بنُ عمرٍو ، قال : ثنا أبو عاصمٍ ، قال : ثنا عيسى ، وحدَّثنى الحارثُ ، قال : ثنا الحسنُ ، قال : ثنا ورقاءُ ، جميعًا عن ابنِ أبى نجيحٍ ، عن مجاهدٍ قولَه : ﴿ ٱلْبَطْشَةَ ٱلْكُبْرَىٰ ﴾ . قال : يومَ بدرٍ[(١)] .

حدَّثنا ابنُ بشارٍ ، قال : ثنا ابنُ أبى عديٍّ ، عن عوفٍ ، قال : سمِعتُ أبا العاليةِ فى هذه الآيةِ : ﴿ يَوْمَ نَبْطِشُ ٱلْبَطْشَةَ ٱلْكُبْرَىٰ ﴾ . قال : يومَ بدرٍ[(٢)] .

حدَّثنى محمدُ بنُ سعدٍ ، قال : ثنى أبى ، قال : ثنى عمى ، قال : ثنى أبى ، عن أبيه ، عن ابنِ عباسٍ قولَه : ﴿ يَوْمَ نَبْطِشُ ٱلْبَطْشَةَ ٱلْكُبْرَىٰ إِنَّا مُنتَقِمُونَ ﴾ . قال : يعنى يومَ بدرٍ[(٣)] .

حدَّثنا أبو كريبٍ ، قال : ثنا عَثَّامُ بنُ علىٍّ ، عن الأعمشِ ، عن إبراهيمَ ، قال : قلتُ : ما[(٤)] البطشةُ الكبرى ؟ قال : يومَ القيامةِ . فقلتُ : إنّ عبدَ اللَّهِ كان يقولُ : يومَ بدرٍ . قال : فبلَغنى أنه سُئِل بعدُ ، فقال : يومَ بدرٍ .

حدَّثنا أبو كُرَيبٍ وأبو السائبِ ، قالا : ثنا ابنُ إدريسَ ، عن الأعمشِ ، عن إبراهيمَ بنحوِه .

حدَّثنا بشرٌ ، قال : ثنا يزيدُ ، قال : ثنا سعيدٌ ، عن قتادةَ ، عن أبى الخليلِ ، عن مجاهدٍ ، عن أُبىِّ بنِ كعبٍ ، قال : يومَ بدرٍ[(٥)] .

---

(١) تفسير مجاهد ص ٥٩٧، وعزاه السيوطى فى الدر المنثور ٢٩/٦ إلى عبد بن حميد .

(٢) أخرجه ابن أبى شيبة ٣٨٧/١٤ من طريق ابن عون ، عن أبى العالية به ، وعزاه السيوطى فى الدر المنثور ٢٩/٦ إلى عبد بن حميد .

(٣) عزاه السيوطى فى الدر المنثور ٢٩/٦ إلى ابن مردويه .

(٤) سقط من : ص ، ت ١، ت ٢، ت ٣.

(٥) عزاه السيوطى فى الدر المنثور ٢٩/٦ إلى المصنف وعبد بن حميد .

حُدِّثتُ عن الحسينِ ، قال : سمِعتُ أبا معاذٍ يقولُ : أخبَرنا عبيدٌ ، قال : سمِعتُ الضحاكَ يقولُ فى قولِه : ﴿ يَوْمَ نَبْطِشُ ٱلْبَطْشَةَ ٱلْكُبْرَىٰٓ ﴾ : يومَ بدرٍ[١] .

حدَّثنى يونسُ ، قال : أخبَرنا ابنُ وهبٍ ، قال : قال ابنُ زيدٍ فى قولِه : ﴿ يَوْمَ نَبْطِشُ ٱلْبَطْشَةَ ٱلْكُبْرَىٰٓ ﴾ . قال : هذا يومَ بدرٍ[٢] .

وقال آخرون : بل هى بطشةُ اللَّهِ بأعدائِه يومَ القيامةِ .

ذكرُ مَن قال ذلك

حدَّثنى يعقوبُ بنُ إبراهيمَ ، قال : ثنا ابنُ عليةَ ، قال : ثنا خالدٌ الحذَّاءُ ، عن عكرمةَ ، قال : قال ابنُ عباسٍ : قال ابنُ مسعودٍ : البطشةُ الكبرى يومَ بدرٍ . وأنا أقولُ : هى يومَ القيامةِ[٣] .

حدَّثنا أبو كريبٍ وأبو السائبِ ، قالا : ثنا ابنُ إدريسَ ، قال : ثنا الأعمشُ ، عن إبراهيمَ ، قال : مرَّ بى عكرمةُ ، فسألْتُه عن البطشةِ الكبرى ، فقال : يومَ القيامةِ . قال : قلتُ : إن عبدَ اللَّهِ بنَ مسعودٍ كان يقولُ : يومَ بدرٍ . وأخبَرنى مَن سأله بعدُ ، فقال : يومَ بدرٍ[٤] .

حدَّثنا بشرٌ ، قال : ثنا يزيدُ ، قال : ثنا سعيدٌ ، عن قتادةَ فى قولِه : ﴿ يَوْمَ نَبْطِشُ ٱلْبَطْشَةَ ٱلْكُبْرَىٰٓ ﴾ . قال قتادةُ عن الحسنِ : إنه يومُ القيامةِ[٥] .

---

(١) ذكره القرطبى فى تفسيره ١٦/ ١٣٤.

(٢) ذكره الطوسى فى التبيان ٩/ ٢٢٦.

(٣) ذكره ابن كثير فى تفسيره ٧/٢٣٧ عن المصنف ، وعزاه السيوطى فى الدر المنثور ٦/٢٩ إلى المصنف وعبد بن حميد .

(٤) ذكره الذهبى فى السير ٥/٢٨، والحافظ فى هدى السارى ص٤٢٦ عن الأعمش ، عن إبراهيم .

(٥) عزاه السيوطى فى الدر المنثور ٦/٢٩ إلى عبد بن حميد .

وقد بيَّنا الصوابَ فى ذلك فيما مضَى ، والعلةَ التى مِن أجلِها اختَرْنا ما اختَرْنا مِن القولِ فيه[١] .

١١٨/٢٥ / وقولُه : ﴿ وَلَقَدْ فَتَنَّا قَبْلَهُمْ قَوْمَ فِرْعَوْنَ ﴾ . يعنى تعالى ذكرُه : ولقد اختبَرْنا وابتلَيْنا يا محمدُ قبلَ مشركى قومِك مثالَ[٢] هؤلاء ؛ قومَ فرعونَ مِن القبطِ ، ﴿ وَجَآءَهُمْ رَسُولٌ كَرِيمٌ ﴾ . يقولُ : وجاءَهم رسولٌ مِن عندِنا أرسَلناه إليهم ، وهو موسى بنُ عمرانَ صلواتُ اللَّهِ عليه .

كما **حدَّثنا** بشرٌ ، قال : ثنا يزيدُ ، قال : ثنا سعيدٌ ، عن قتادةَ قولَه : ﴿ وَلَقَدْ فَتَنَّا قَبْلَهُمْ قَوْمَ فِرْعَوْنَ وَجَآءَهُمْ رَسُولٌ كَرِيمٌ ﴾ : يعنى موسى .

حدَّثنا ابنُ عبدِ الأعلى ، قال : ثنا ابنُ ثورٍ ، عن معمرٍ ، عن قتادةَ فى قولِه : ﴿ رَسُولٌ كَرِيمٌ ﴾ . قال : موسى عليه السلامُ[٣] .

ووصَفه جلّ ثناؤُه بالكرمِ لأنه كان كريمًا عليه ، رفيعًا عندَه مكانُه . وقد يجوزُ أن يكونَ وصَفه بذلك لأنه كان فى قومِه شريفًا وسيطًا .

وقولُه : ﴿ أَنْ أَدُّوٓاْ إِلَىَّ عِبَادَ ٱللَّهِ ﴾ . يقولُ تعالى ذكرُه : وجاء قومَ فرعونَ رسولٌ مِن اللَّهِ كريمٌ عليه ، بأن ادْفَعوا إلىَّ . ومعنى ﴿ أَدُّوٓاْ ﴾ : ادفَعوا إلىَّ ، [٢/٧٩٩و] فأَرسِلوا معى واتبعونِ . وهو نحوُ قولِه : ﴿ أَنْ أَرْسِلْ مَعَنَا بَنِىٓ

---

(١) ينظر ما تقدم فى ص ٢٠ .

(٢) فى ص ، ت ٢ ، ت ٣ : « فقال » .

(٣) أخرجه عبد الرزاق فى تفسيره ٢/٢٠٧ عن معمر به ، وعزاه السيوطى فى الدر المنثور ٦/٢٩ إلى عبد ابن حميد وابن المنذر .

إِسْرَٰٓءِيلَ ﴾ [الشعراء: ١٧] . فـ ﴿ أَنْ ﴾ فى قولِه : ﴿ أَنْ أَدُّوٓاْ إِلَىَّ ﴾ . نصْبٌ ، و ﴿ عِبَادَ ٱللَّهِ ﴾ نُصِب بقولِه : ﴿ أَدُّوٓاْ ﴾ . وقد تأوَّله قومٌ : أن أدّوا إلىَّ يا عبادَ اللَّهِ . فعلى هذا التأويلِ ﴿ عِبَادَ ٱللَّهِ ﴾ نَصْبٌ على النداءِ .

وبنحوِ الذى قلنا فى تأويلِ ﴿ أَنْ أَدُّوٓاْ إِلَىَّ ﴾ قال أهلُ التأويلِ .

ذكرُ مَن قال ذلك

حدَّثنى محمدُ بنُ سعدٍ ، قال : ثنى أبى ، قال : ثنى عمى ، قال : ثنى أبى ، عن أبيه ، عن ابنِ عباسٍ قولَه : ﴿ وَلَقَدْ فَتَنَّا قَبْلَهُمْ قَوْمَ فِرْعَوْنَ وَجَآءَهُمْ رَسُولٌ كَرِيمٌ ﴿١٧﴾ أَنْ أَدُّوٓاْ إِلَىَّ عِبَادَ ٱللَّهِ إِنِّى لَكُمْ رَسُولٌ أَمِينٌ ﴾ . قال : يقولُ : اتَّبِعونى إلى ما أدعوكم إليه مِن الحقِّ[1] .

حدَّثنى محمدُ بنُ عمرٍو ، قال : ثنا أبو عاصمٍ ، قال : ثنا عيسى ، **وحدَّثنى** الحارثُ ، قال : ثنا الحسنُ ، قال : ثنا ورقاءُ ، جميعًا عن ابنِ أبى نجيحٍ ، عن مجاهدٍ قولَه : ﴿ أَنْ أَدُّوٓاْ إِلَىَّ عِبَادَ ٱللَّهِ ﴾ . قال : أَرْسِلوا معى بنى إسرائيلَ[2] .

حدَّثنا ابنُ عبدِ الأعلى ، قال : ثنا ابنُ ثورٍ ، عن معمرٍ ، عن قتادةَ : ﴿ أَنْ أَدُّوٓاْ إِلَىَّ عِبَادَ ٱللَّهِ ﴾ . قال : بنى إسرائيلَ[3] .

حدَّثنا بشرٌ ، قال : ثنا يزيدُ ، قال : ثنا سعيدٌ ، عن قتادةَ : ﴿ أَنْ أَدُّوٓاْ إِلَىَّ عِبَادَ

---

(١) عزاه السيوطى فى الدر المنثور ٦/٢٩ إلى المصنف وابن أبى حاتم وابن مردويه .

(٢) تفسير مجاهد ص ٥٩٧.

(٣) أخرجه عبد الرزاق فى تفسيره ٢/٢٠٧ عن معمر به ، وعزاه السيوطى فى الدر المنثور ٦/٢٩ إلى عبد بن حميد وابن المنذر .

﴿ ٱللَّهِ ﴾ : يعنى به[١] بنى إسرائيلَ ، قال لفرعونَ : علامَ تَحْبِسُ هؤلاء القومَ ؟ قومًا أحرارًا اتَّخذْتَهم عبيدًا ، خَلِّ سبيلَهم .

حدَّثنى يونسُ ، قال : أخبَرنا ابنُ وهبٍ ، قال : قال ابنُ زيدٍ فى قولِه : ﴿ أَنْ أَدُّوٓا۟ إِلَىَّ عِبَادَ ٱللَّهِ ﴾ . قال : يقولُ : أَرْسِلْ عبادَ اللَّهِ معى . يعنى بنى إسرائيلَ . وقرأ : ﴿ فَأَرْسِلْ[٢] مَعَنَا بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ وَلَا تُعَذِّبْهُمْ ﴾ [طه : ٤٧] . قال : ذلك قولُه : ﴿ أَنْ أَدُّوٓا۟ إِلَىَّ عِبَادَ ٱللَّهِ ﴾ . قال : وَدِّهم إلينا[٣] .

وقولُه : ﴿ إِنِّى لَكُمْ رَسُولٌ أَمِينٌ ﴾ . يقولُ : إنى لكم أيُّها القومُ رسولٌ مِن اللَّهِ ، أرسَلنى إليكم ؛ لا يُدْرِكُكم[٤] بأسُه على كفرِكم به ، ﴿ أَمِينٌ ﴾ . يقولُ : أمينٌ على وحيِه ورسالتِه التى أوفَدنيها[٥] إليكم .

١١٩/٢٥ / **القولُ فى تأويلِ قولِه تعالى** : ﴿ وَأَن لَّا تَعْلُوا۟ عَلَى ٱللَّهِ إِنِّىٓ ءَاتِيكُم بِسُلْطَٰنٍ مُّبِينٍ ﴿١٩﴾ وَإِنِّى عُذْتُ بِرَبِّى وَرَبِّكُمْ أَن تَرْجُمُونِ ﴿٢٠﴾ وَإِن لَّمْ تُؤْمِنُوا۟ لِى فَٱعْتَزِلُونِ ﴿٢١﴾ ﴾ .

يقولُ تعالى ذكرُه : وجاءهم رسولٌ كريمٌ : أن أدّوا إلىَّ عبادَ اللَّهِ ، وبأنْ لا تَعْلوا على اللَّهِ .

وعُنى بقولِه : ﴿ وَأَن لَّا تَعْلُوا۟ عَلَى ٱللَّهِ ﴾ : ألا تَطْغَوا وتَبْغُوا على ربِّكم ، فتكفروا به وتعصُوه ، فتُخالفوا أمرَه ، ﴿ إِنِّىٓ ءَاتِيكُم بِسُلْطَٰنٍ مُّبِينٍ ﴾ . يقولُ : إنى آتيكم بحجةٍ على حقيقةِ ما أدعوكم إليه ، وبرهانٍ على صحتِه ، مُبينٍ لمن تأمَّلها وتدبَّرها أنها

---

(١) سقط من : ت ٢، ت ٣.

(٢) فى ص ، ت ٢، ت ٣: « أن أرسل » .

(٣) ينظر البحر المحيط ٣٥/٨ .

(٤) فى ت ١: « لأنذركم » .

(٥) فى النسخ : « أوعدنيها » .

حجةٌ لى على صحةِ ما أقولُ لكم .

وبنحوِ الذى قلنا فى ذلك قال أهلُ التأويلِ .

ذكرُ مَن قال ذلك

حدَّثنا بشرٌ ، قال : ثنا يزيدُ ، قال : ثنا سعيدٌ ، عن قتادةَ قولَه : ﴿ وَأَن لَّا تَعْلُوا عَلَى اللَّهِ ﴾ . أى : لا تَبْغُوا على اللَّهِ ، ﴿ إِنِّي آتِيكُم بِسُلْطَانٍ مُّبِينٍ ﴾ . أى : بعذرٍ مُبينٍ (١) .

حدَّثنا ابنُ عبدِ الأعلى ، قال : ثنا ابنُ ثورٍ ، عن معمرٍ ، عن قتادةَ بنحوِه (١) .

حدَّثنى محمدُ بنُ سعدٍ ، قال : ثنى أبى ، قال : ثنى عمى ، قال : ثنى أبى ، عن أبيه ، عن ابنِ عباسٍ قولَه : ﴿ وَأَن لَّا تَعْلُوا عَلَى اللَّهِ ﴾ . يقولُ : لا تَفْتَرُوا على اللَّهِ (٢) .

وقولُه : ﴿ وَإِنِّي عُذْتُ بِرَبِّي وَرَبِّكُمْ أَن تَرْجُمُونِ ﴾ . يقولُ : وإنى اعتصمتُ بربِّى وربِّكم ، واستجَرْتُ به منكم أن ترجمونِ .

واختلَف أهلُ التأويلِ فى معنى الرَّجْمِ الذى استعاذه موسى نبىُّ اللَّهِ عليه السلامُ بربِّه منه ؛ **فقال بعضُهم** : هو الشَّتْمُ باللسانِ .

ذكرُ مَن قال ذلك

حدَّثنى محمدُ بنُ سعدٍ ، قال : ثنى أبى ، قال : ثنى عمى ، قال : ثنى أبى ، عن أبيه ، عن ابنِ عباسٍ قولَه : ﴿ وَإِنِّي عُذْتُ بِرَبِّي وَرَبِّكُمْ أَن تَرْجُمُونِ ﴾ . قال : يعنى رَجْمَ

---

(١) أخرجه عبد الرزاق فى تفسيره ٢/ ٢٠٧، ٢٠٨ عن معمر به ، وعزاه السيوطى فى الدر المنثور ٦/ ٢٩ إلى عبد بن حميد وابن المنذر .

(٢) عزاه السيوطى فى الدر المنثور ٦/ ٢٩ إلى المصنف وابن أبى حاتم وابن مردويه .

القولِ[(١)] .

حدَّثنى ابنُ المثنى ، قال : ثنا عثمانُ بنُ عمرَ بنِ فارسٍ ، قال : ثنا شعبةُ ، عن إسماعيلَ بنِ أبى خالدٍ ، عن أبى صالحٍ فى قولِه : ﴿ وَإِنِّي عُذْتُ بِرَبِّي وَرَبِّكُمْ أَن تَرْجُمُونِ ﴾ . قال : الرَّجْمُ بالقولِ[(٢)] .

حدَّثنا أبو هشامٍ الرفاعىُّ ، قال : ثنا يحيى بنُ يمانٍ ، قال : ثنا سفيانُ ، عن إسماعيلَ ، عن أبى صالحٍ : ﴿ وَإِنِّي عُذْتُ بِرَبِّي وَرَبِّكُمْ أَن تَرْجُمُونِ ﴾ . قال : أن تقولوا : هو ساحرٌ .

وقال آخرون : بل هو الرَّجْمُ بالحجارةِ .

/ ذكرُ مَن قال ذلك ١٢٠/٢٥

حدَّثنا بشرٌ ، قال : ثنا يزيدُ ، قال : ثنا سعيدٌ ، عن قتادةَ : ﴿ وَإِنِّي عُذْتُ بِرَبِّي وَرَبِّكُمْ أَن تَرْجُمُونِ ﴾ . أى : أن ترجُمونِ بالحجارةِ .

حدَّثنا ابنُ عبدِ الأعلى ، قال : ثنا ابنُ ثورٍ ، عن معمرٍ ، عن قتادةَ : ﴿ أَن تَرْجُمُونِ ﴾ . قال : أن ترجُمونى بالحجارةِ[(٣)] .

وقال آخرون : بل عُنِى بقولِه : ﴿ أَن تَرْجُمُونِ ﴾ : أن تقتُلونى .

وأولى الأقوالِ فى ذلك بالصوابِ ما دلَّ عليه ظاهرُ الكلامِ ، وهو أنَّ موسى

---

(١) عزاه السيوطى فى الدر المنثور ٦/٢٩ إلى المصنف وابن أبى حاتم وابن مردويه بلفظ « تشتمون » .

(٢) فى ص ، ت ١ ، ت ٢ ، ت ٣ : « القول » .

والأثر ذكره ابن كثير فى تفسيره ٧/٢٣٨ .

(٣) أخرجه عبد الرزاق فى تفسيره ٢/٢٠٧ عن معمر به ، وعزاه السيوطى فى الدر المنثور ٦/٢٩ إلى عبد بن حميد وابن المنذر .

عليه السلامُ استعاذ باللَّهِ مِن أن يرجُمَه فرعونُ وقومُه ، والرَّجْمُ قد يكونُ قولًا باللسانِ ، وفعلًا باليدِ . والصوابُ أن يقالَ : استعاذ موسى بربِّه مِن كلِّ معانى رجْمِهم ، الذى يصلُ منه إلى المرجومِ أذًى ومكروهٌ ؛ شتمًا كان ذلك باللسانِ ، أو رجمًا بالحجارةِ باليدِ .

وقولُه : ﴿ وَإِن لَّمْ تُؤْمِنُوا۟ لِى فَٱعْتَزِلُونِ ﴾ . يقولُ تعالى ذكرُه مخبرًا عن قيلِ نبيِّه موسى عليه السلامُ لفرعونَ وقومِه : وإنْ أنتم أيُّها القومُ لم تُصدِّقونى على ما جئتُكم به من عندِ ربِّى ، ﴿ فَٱعْتَزِلُونِ ﴾ . يقولُ : [٢/٧٩٩ظ] فخلُّوا سبيلى غيرَ مرْجومٍ باللسانِ ولا باليدِ .

كما **حدَّثنا** محمدُ بنُ عبدِ الأعلى ، قال : ثنا ابنُ ثورٍ ، عن معمرٍ ، عن قتادةَ : ﴿ وَإِن لَّمْ تُؤْمِنُوا۟ لِى فَٱعْتَزِلُونِ ﴾ . أى : فخلّوا سبيلى (١) .

القولُ فى تأويلِ قولِه تعالى : ﴿ فَدَعَا رَبَّهُۥٓ أَنَّ هَٰٓؤُلَآءِ قَوْمٌ مُّجْرِمُونَ ﴿٢٢﴾ فَأَسْرِ بِعِبَادِى لَيْلًا إِنَّكُم مُّتَّبَعُونَ ﴿٢٣﴾ وَٱتْرُكِ ٱلْبَحْرَ رَهْوًا ۖ إِنَّهُمْ جُندٌ مُّغْرَقُونَ ﴿٢٤﴾ ﴾ .

يقولُ تعالى ذكرُه : ﴿ فَدَعَا ﴾ موسى ﴿ رَبَّهُۥٓ ﴾ إذ كذَّبوه ولم يؤمنوا به ، ولم يؤدُّوا إليه عبادَ اللَّهِ ، وهمُّوا بقتلِه ، بـ ﴿ أَنَّ هَٰٓؤُلَآءِ ﴾ . يعنى : فرعونَ وقومَه ، ﴿ قَوْمٌ مُّجْرِمُونَ ﴾ . يعنى : أنهم مشركون باللَّهِ كافرون .

وقولُه : ﴿ فَأَسْرِ بِعِبَادِى ﴾ . وفى الكلامِ محذوفٌ استُغْنِىَ بدلالةِ ما ذُكر عليه منه ، وهو : فأجابه ربُّه بأن قال له : ﴿ فَأَسْرِ ﴾ إذ كان الأمرُ كذلك ﴿ بِعِبَادِى ﴾ . وهم بنو إسرائيلَ . وإنما معنى الكلامِ : فأَسْرِ بعبادى الذين صدَّقوك وآمَنوا بك

(١) أخرجه عبد الرزاق فى تفسيره ٢/٢٠٨ عن معمر به ، وعزاه السيوطى فى الدر المنثور ٦/٢٩ إلى عبد بن حميد وابن المنذر .

واتَّبعوك ، دونَ الذين كذّبوك منهم وأبَوْا قبولَ ما جئتَهم به من النصيحةِ منك ، وكان الذين كانوا بهذه الصفةِ يومَئذٍ بنى إسرائيلَ ، وقال : ﴿ فَأَسْرِ بِعِبَادِي لَيْلًا ﴾ ؛ لأن معنى ذلك : سِرْ بهم بليلٍ قبلَ الصباحِ .

وقولُه : ﴿ إِنَّكُم مُّتَّبَعُونَ ﴾ . يقولُ : إنَّ فرعونَ وقومَه من القِبْطِ مُتَّبِعوكم إذا شَخَصْتم[1] عن بلدِهم وأرضِهم ، فى آثارِكم .

١٢١/٢٥ / وقولُه : ﴿ وَٱتْرُكِ ٱلْبَحْرَ رَهْوًا ﴾ . يقولُ : وإذا قطعتَ البحرَ أنت وأصحابُك ، فاترُكْه ساكنًا على حالِه التى كان عليها حينَ دخلْتَه . وقيل : إن اللَّهَ تعالى ذكرُه قال لموسى هذا القولَ بعدَ ما قطَع البحرَ بينى[2] إسرائيلَ ، فإذ كان ذلك كذلك ففى الكلامِ محذوفٌ ، وهو : فسَرَى موسى بعبادى ليلًا ، وقطَع بهم البحرَ ، فقلنا له بعدَ ما قطَعه وأراد ردَّ البحرِ إلى هيئتِه التى كان عليها قبلَ انفلاقِه : اترُكْه رهْوًا .

ذكرُ مَن قال ما ذكَرْنا ، مِن أَنَّ اللَّهَ عزَّ وجلَّ قال لموسى هذا القولَ ، بعدَ ما قطَع البحرَ بقومِه[3]

حدَّثنا بشرٌ ، قال : ثنا يزيدُ ، قال : ثنا سعيدٌ ، عن قتادةَ قولَه : ﴿ فَدَعَا رَبَّهُۥٓ أَنَّ هَٰٓؤُلَآءِ قَوْمٌ مُّجْرِمُونَ ﴾ حتى بلَغ : ﴿ إِنَّهُم جُندٌ مُّغْرَقُونَ ﴾ . قال : لما خرَج آخرُ بنى إسرائيلَ أراد نبيُّ اللَّهِ موسى عليه السلامُ أن يضربَ البحرَ بعصاه حتى يعودَ كما كان ؛ مخافةَ آلِ فرعونَ أن يُدرِكوهم ، فقيل له : ﴿ وَٱتْرُكِ ٱلْبَحْرَ رَهْوًا ۖ إِنَّهُمْ جُندٌ مُّغْرَقُونَ ﴾ .

---

(١) شَخَص : أى : خرج . اللسان (ش خ ص) .

(٢) فى ص : « بين بنى » .

(٣) بعده فى ت ٢، ت ٣: « القول فى تأويل قوله تعالى : ﴿ واترك البحر رهوًا إنهم جند مغرقون ﴾ » .

حدَّثنا ابنُ عبدِ الأعلى ، قال : ثنا ابنُ ثورٍ ، عن معمرٍ ، عن قتادةَ ، قال : لما قطَع البحرَ ، عطَف ليضربَ البحرَ بعصاه ليلتئِمَ ، وخاف أن يتْبَعه فرعونُ وجنودُه ، فقيل له : ﴿ وَٱتْرُكِ ٱلْبَحْرَ رَهْوًا ﴾ كما هو ، ﴿ إِنَّهُمْ جُندٌ مُّغْرَقُونَ ﴾[(١)] .

واختلَف أهلُ التأويلِ فى معنى الرهْوِ ؛ **فقال بعضُهم** : معناه : اتركْه على هيئتِه وحالِه التى كان عليها .

ذكرُ مَن قال ذلك

حدَّثنى عليٌّ ، قال : ثنا أبو صالح ، قال : ثنى معاويةُ ، عن عليٍّ ، عن ابنِ عباسٍ قولَه : ﴿ وَٱتْرُكِ ٱلْبَحْرَ رَهْوًا ﴾ . يقولُ : سَمْتًا[(٢)] .

حدَّثنى محمدُ بنُ سعدٍ ، قال : ثنى أبى ، قال : ثنى عمى ، قال : ثنى أبى ، عن أبيه ، عن ابنِ عباسٍ قولَه : ﴿ وَٱتْرُكِ ٱلْبَحْرَ رَهْوًا إِنَّهُمْ جُندٌ مُّغْرَقُونَ ﴾ . قال : الرهْوُ : أن يُتْرَكَ كما كان ، فإنهم لن[(٣)] يَخلُصوا مِن ورائِه[(٤)] .

حدَّثنى يعقوبُ بنُ إبراهيمَ ، قال : ثنا ابنُ عليةَ ، قال : أخبَرنا حميدٌ ، عن إسحاقَ [(٥)] بنِ عبدِ[(٥)] اللهِ بنِ الحارثِ ، عن أبيه ، أن ابنَ عباسٍ سأل كعبًا عن قولِ اللَّهِ : ﴿ وَٱتْرُكِ ٱلْبَحْرَ رَهْوًا ﴾ . قال : طريقًا[(٦)] .

---

(١) أخرجه عبد الرزاق فى تفسيره ٢/ ٢٠٨، وعزاه السيوطى فى الدر المنثور ٦/ ٣٠ إلى عبد بن حميد .

(٢) السمت : الطريق . اللسان (س م ت) .

والأثر أخرجه ابن أبى حاتم - كما فى الإتقان ٢/ ٤٢ - وابن عبد الحكم فى فتوح مصر ص ٢٤ من طريق أبى صالح به ، وعزاه السيوطى فى الدر المنثور ٦/ ٢٩ إلى ابن المنذر .

(٣) فى ت ١، ت ٢، ت ٣: « لم » .

(٤) عزاه السيوطى فى الدر المنثور ٦/ ٢٩ إلى المصنف .

(٥ - ٥) فى ص : « بن عبيد » ، وفى م : « عن عبد » . وينظر تهذيب الكمال ٢/ ٤٤٢ .

(٦) أخرجه الحسين المروزى فى زوائده على زهد ابن المبارك (١٤١٣) من طريق حميد به ، وعزاه السيوطى فى الدر المنثور ٦/ ٢٩ إلى المصنف وابن أبى حاتم .

وقال آخرون : بل معناه : اترُكْه سهلًا .

ذكرُ مَن قال ذلك

حدَّثنا ابنُ حميدٍ ، قال : ثنا حكامٌ ، عن أبى جعفرٍ ، عن الرَّبيعِ قولَه : ﴿ وَٱتْرُكِ ٱلْبَحْرَ رَهْوًا ﴾ . قال : سهلًا[١] .

حدَّثنى محمدُ بنُ سعدٍ ، قال : ثنى أبى ، قال : ثنى عمى ، قال : ثنى أبى ، عن أبيه ، عن ابنِ عباسٍ قولَه : ﴿ وَٱتْرُكِ ٱلْبَحْرَ رَهْوًا ﴾ . قال : يقالُ : الرهْوُ السهلُ[٢] .

١٢٢/٢٥ / **حدَّثنا** ابنُ المثنى ، قال : ثنا حَرَميُّ بنُ عُمارةَ ، قال : ثنا شعبةُ ، قال : أخبَرنى عُمارةُ ، عن الضحاكِ بنِ مُزاحمٍ فى قولِ اللَّهِ عزَّ وجلَّ : ﴿ وَٱتْرُكِ ٱلْبَحْرَ رَهْوًا ﴾ . قال : دَمِثًا .

حُدِّثْتُ عن الحسينِ ، قال : سمِعتُ أبا معاذٍ يقولُ : أخبَرنا عبيدٌ ، قال : سمِعتُ الضحاكَ يقولُ فى قولِه : [٢/٨٠٠و] ﴿ وَٱتْرُكِ ٱلْبَحْرَ رَهْوًا ﴾ . قال : سهلًا دَمِثًا[٣] .

حدَّثنى يونسُ ، قال : أخبَرنا ابنُ وهبٍ ، قال : قال ابنُ زيدٍ فى قولِه : ﴿ وَٱتْرُكِ ٱلْبَحْرَ رَهْوًا ﴾ . قال : هو السهلُ[٤] .

وقال آخرون : بل معناه : واتركْه[٥] يَبَسًا جَدَدًا[٦] .

---

(١) عزاه السيوطى فى الدر المنثور ٦/ ٢٩ إلى المصنف .

(٢) عزاه السيوطى فى الدر المنثور ٦/ ٢٩، ٣٠ إلى المصنف . بلفظ : « دمثا » . وكلاهما بمعنًى .

(٣) ذكره القرطبى فى تفسيره ١٦/ ١٣٧، وأبو حيان فى البحر المحيط ٨/ ٣٥.

(٤) ذكره ابن عبد الحكم فى فتوح مصر ص٢٤ معلقًا ، وينظر البحر المحيط ٨/ ٣٦.

(٥) فى ت ٢: « وأنزله » .

(٦) الجدد : الطريق . اللسان (ج د د) .

ذكرُ مَن قال ذلك

حدَّثنا محمدُ بنُ المثنى ، قال : ثنى عبيدُ اللَّهِ بنُ معاذٍ ، قال : ثنى أبى ، عن شعبةَ ، عن سماكٍ ، عن عكرمةَ فى قولِه : ﴿ وَٱتْرُكِ ٱلْبَحْرَ رَهْوًا ﴾ . قال : جَدَدًا[1] .

حدَّثنا محمدُ بنُ المثنى ، قال : ثنى عبيدُ اللَّهِ بنُ معاذٍ ، قال : ثنى أبى ، عن شعبةَ ، عن سماكٍ ، عن عكرمةَ فى قولِه : ﴿ وَٱتْرُكِ ٱلْبَحْرَ رَهْوًا ﴾ . قال : يابسًا ، كهيئتِه بعدَ أن ضربَه ، يقولُ : لا تأمرْه يَرْجِعْ ، اتركْه حتى يدخُلَ آخرُهم[2] .

حدَّثنا ابنُ عبدِ الأعلى ، قال : ثنا ابنُ ثورٍ ، عن معمرٍ ، عن ابنِ أبى نجيحٍ ، عن مجاهدٍ فى قولِه : ﴿ رَهْوًا ﴾ . قال : طريقًا يَبَسًا[3] .

حدَّثنا ابنُ عبدِ الأعلى ، قال : ثنا ابنُ ثورٍ ، عن معمرٍ ، عن قتادةَ : ﴿ وَٱتْرُكِ ٱلْبَحْرَ رَهْوًا ﴾ . قال : كما هو طريقًا يابسًا[4] .

وأولَى الأقوالِ فى ذلك بالصوابِ قولُ مَن قال : معناه : اتركْه على هيئتِه كما هو ، على الحالِ التى كان عليها حينَ سلَكْتَه . وذلك أنَّ الرهْوَ فى كلامِ العربِ السكونُ ، كما قال الشاعرُ[5] :

---

(١) أخرجه ابن عبد الحكم فى فتوح مصر ص٢٤ من طريق الحكم بن أبان ، عن عكرمة بلفظ : طريقًا . وعزاه السيوطى فى الدر المنثور ٦/ ٣٠ إلى المصنف .

(٢) ذكره ابن كثير فى تفسيره ٧/ ٢٣٨.

(٣) أخرجه عبد الرزاق فى تفسيره ٢/ ٢٠٨ عن معمر به ، وهو فى تفسير مجاهد ص٥٩٨ - ومن طريقه الفريابى - كما فى تغليق التعليق ٤/ ٣١٠ - وعزاه السيوطى فى الدر المنثور ٦/ ٣٠ إلى عبد بن حميد وابن المنذر .

(٤) أخرجه عبد الرزاق فى تفسيره ٢/ ٢٠٨ عن معمر به ، وعزاه السيوطى فى الدر المنثور ٦/ ٣٠ إلى عبد بن حميد .

(٥) البيتان بدون نسبة فى معانى القرآن للفراء ٣/ ٤١ ، والأول فى اللسان (ب د د ، ن د د) .

كأنَّما أهلُ حُجْرٍ يَنْظُرون متى يَرَوْنَنى خارِجًا طيرٌ يُنادِيدُ[١]
طيرٌ رأَتْ بازيًا نَضْحُ[٢] الدماءِ بِهِ وأُمُّهُ[٣] خرجَتْ رهْوًا إلى عيدِ[٤]

يعنى : على سكونٍ . وإذا كان ذلك معناه ، كان لا شكَّ أنه متروكٌ سهلًا دَمِثًا ، وطريقًا يَبَسًا ؛ لأن بنى إسرائيلَ قطَعوه حينَ قطَعوه وهو كذلك ، فإذا تُرِك البحرُ رهْوًا كما كان حينَ قطَعه موسى ، ساكنًا لم يُهَجْ ، كان لا شكَّ أنه بالصفةِ التى وصفْتُ .

وقولُه : ﴿ إِنَّهُمْ جُندٌ مُّغْرَقُونَ ﴾ . يقولُ : إنَّ فرعونَ وقومَه جندٌ اللَّهُ مُغْرِقُهم فى البحرِ .

١٢٣/٢٥ / **القولُ فى تأويلِ قولِه تعالى** : ﴿ كَمْ تَرَكُوا۟ مِن جَنَّٰتٍ وَعُيُونٍ ۝٢٥ وَزُرُوعٍ وَمَقَامٍ كَرِيمٍ ۝٢٦ وَنَعْمَةٍ كَانُوا۟ فِيهَا فَٰكِهِينَ ۝٢٧ كَذَٰلِكَ وَأَوْرَثْنَٰهَا قَوْمًا ءَاخَرِينَ ۝٢٨ ﴾ .

يقولُ تعالى ذكرُه : كم تركَ فرعونُ وقومُه من القبطِ بعدَ مهلِكِهم وتغريقِ اللَّهِ إياهم من بساتينِ أشجارٍ[٥] ، وهى الجناتُ ، ﴿ وَعُيُونٍ ﴾ . يعنى : ومنابعِ ماءٍ كان ينفجِرُ فى جنانِهم ، ﴿ وَزُرُوعٍ ﴾ قائمةٍ فى مزارِعهم ، ﴿ وَمَقَامٍ كَرِيمٍ ﴾ . يقولُ : ومَوضعٍ كانوا يقومونه ، شريفٍ كريمٍ .

ثم اختلَف أهلُ التأويلِ فى معنى وصفِ اللَّهِ ذلك المقامَ بالكرمِ ؛ **فقال بعضُهم** : وصَفه بذلك لشرفِه ، وذلك أنه مَقامُ الملوكِ والأمراءِ ، قالوا : وإنما أُريد به المنابرُ .

---

(١) طير يناديد وأناديد : متفرقة . اللسان (ن د د) .

(٢) فى المعانى : « نضخ » . والمثبت موافق لنسختين من نسخه .

(٣) فى المعانى : « أو أمة » . والمثبت موافق لإحدى نسخه .

(٤) فى البيتين إقواء ، وهو اختلاف حركة الروى فى قصيدة واحدة . ينظر الكافى فى العروض والقوافى للتبريزى ص ١٦٠ .

(٥) فى م : « وأشجار » .

ذكرُ مَن قال ذلك

حدَّثنى جعفرُ بنُ ابنةِ إسحاقَ الأزرقِ ، قال : ثنا سعيدُ بنُ محمدٍ الثقفىُّ ، قال : ثنا إسماعيلُ بنُ إبراهيمَ بنِ مهاجرٍ ، عن أبيه ، عن مجاهدٍ فى قولِه : ﴿ وَمَقَامٍ كَرِيمٍ ﴾ . قال : المنابرِ[1] .

حدَّثنى زكريا بنُ يحيى بنِ أبى زائدةَ ، قال : ثنا عبدُ اللَّهِ بنُ داودَ الواسطىُّ ، قال : ثنا شريكٌ ، عن سالمٍ الأفطسِ ، عن سعيدِ بنِ جبيرٍ فى قولِه : ﴿ وَمَقَامٍ كَرِيمٍ ﴾ . قال : المنابرِ[1] .

وقال آخرون : وُصِف ذلك المَقامُ بالكرمِ ؛ لحسنِه وبهجتِه .

ذكرُ مَن قال ذلك

حدَّثنا بشرٌ ، قال : ثنا يزيدُ ، قال : ثنا سعيدٌ ، عن قتادةَ قولَه : ﴿ وَمَقَامٍ كَرِيمٍ ﴾ . أى : حسَنٍ[2] .

وقولُه : ﴿ وَنَعْمَةٍ كَانُوا فِيهَا فَاكِهِينَ ﴾ . يقولُ تعالى ذكرُه : وأُخْرِجوا مِن نَعْمةٍ كانوا فيها فاكهين ؛ مُتفكِّهين ناعمين .

واختلَفتِ القرأةُ فى قراءةِ قولِه : ﴿ فَاكِهِينَ ﴾ ؛ فقرَأ ذلك عامةُ قرأةِ الأمصارِ خلا أبى جعفرٍ القارئ: ﴿ فَكِهِينَ ﴾ . على المعنى الذى وصَفتُ . وقرَأه أبو رجاءٍ العُطاردىُّ ، والحسنُ ، وأبو جعفرٍ المدنىُّ : (فَكِهِينَ) . بمعنى : أَشِرِين بَطِرِين[3] .

---

(١) ذكره ابن كثير فى تفسيره ٧/ ٢٣٨.

(٢) عزاه السيوطى فى الدر المنثور ٦/ ٣٠ إلى المصنف وعبد بن حميد وابن المنذر .

(٣) ينظر البحر المحيط ٨/ ٣٦، وإتحاف فضلاء البشر ص ٢٢٥.

والصوابُ مِن القراءةِ فى ذلك عندى القراءةُ التى عليها قرأةُ الأمصارِ ، وهى ﴿ فَٰكِهِينَ﴾ بالألفِ ، بمعنى : ناعمين .

وبنحوِ الذى قلنا فى ذلك قال أهلُ التأويلِ .

ذكرُ مَن قال ذلك

حدَّثنا بشرٌ ، قال : ثنا يزيدُ ، قال : ثنا سعيدٌ ، عن قتادةَ : ﴿ وَنَعْمَةٍ كَانُوا۟ فِيهَا فَٰكِهِينَ﴾ : ناعمين . قال : إىْ واللَّهِ ، أخرَجه اللَّهُ مِن جنانِه وعيونِه وزروعِه ، حتى ورَّطه فى البحرِ[1] .

١٢٤/٢٥ / وقولُه : ﴿ كَذَٰلِكَ ۖ وَأَوْرَثْنَٰهَا قَوْمًا ءَاخَرِينَ ﴾ . يقولُ تعالى ذكرُه : هكذا كما وصَفتُ لكم أيُّها الناسُ ، فعلنا بهؤلاءِ [٢/٨٠٠ظ] الذين ذكَرتُ لكم أمرَهم ، الذين كذَّبوا رسولَنا موسى ﷺ .

وقولُه : ﴿ وَأَوْرَثْنَٰهَا قَوْمًا ءَاخَرِينَ ﴾ . يقولُ تعالى ذكرُه : وأورَثْنا جنانَهم وعيونَهم وزروعَهم ومقاماتِهم ، وما كانوا فيه من النعمةِ - عنهم قومًا آخرين بعدَ مهلِكِهم . وقيل : عُنِى بالقومِ الآخرين بنو إسرائيلَ .

ذكرُ مَن قال ذلك

حدَّثنا بشرٌ ، قال : ثنا يزيدُ ، قال : ثنا سعيدٌ ، عن قتادةَ قولَه : ﴿ كَذَٰلِكَ ۖ وَأَوْرَثْنَٰهَا قَوْمًا ءَاخَرِينَ ﴾ : يعنى بنى إسرائيلَ[1] .

القولُ فى تأويلِ قولِه تعالى : ﴿ فَمَا بَكَتْ عَلَيْهِمُ ٱلسَّمَآءُ وَٱلْأَرْضُ وَمَا كَانُوا۟ مُنظَرِينَ ﴿٢٩﴾ وَلَقَدْ نَجَّيْنَا بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ مِنَ ٱلْعَذَابِ ٱلْمُهِينِ ﴿٣٠﴾ مِن فِرْعَوْنَ ۚ إِنَّهُۥ كَانَ عَالِيًا

(١) عزاه السيوطى فى الدر المنثور ٦/٣٠ إلى المصنف وعبد بن حميد وابن المنذر .

مِّنَ ٱلْمُسْرِفِينَ ﴿٣١﴾ ﴾ .

يقولُ تعالى ذكرُه : فما بكَت على هؤلاء الذين غرَّقهم اللَّهُ فى البحرِ ، وهم فرعونُ وقومُه ، السماءُ والأرضُ . وقيل : إن بكاءَ السماءِ حمرةُ أطرافِها .

ذكرُ مَن قال ذلك

حدَّثنى محمدُ بنُ إسماعيلَ الأحمَسىُّ ، قال : ثنا عبدُ الرحمنِ بنُ أبى حمادٍ ، عن الحكمِ بنِ ظُهيرٍ ، عن السدىِّ ، قال : لما قُتل الحسينُ بنُ علىٍّ رضوانُ اللَّهِ عليهم بكَتِ السماءُ عليه ، وبكاؤُها حمرتُها[1] .

حدَّثنى علىُّ بنُ سهلٍ ، قال : ثنى حجاجٌ ، عن ابنِ جريجٍ ، عن عطاءٍ فى قولِه : ﴿ فَمَا بَكَتْ عَلَيْهِمُ ٱلسَّمَآءُ وَٱلْأَرْضُ ﴾ . قال : بكاؤُها حمرةُ أطرافِها[2] .

وقيل : إنما قيل : ﴿ فَمَا بَكَتْ عَلَيْهِمُ ٱلسَّمَآءُ وَٱلْأَرْضُ ﴾ ؛ لأن المؤمنَ إذا مات بكَت عليه السماءُ والأرضُ أربعين صباحًا ، ولم يبكيا على فرعونَ وقومِه ؛ لأنه لم يكنْ لهم عملٌ يصعَدُ إلى اللَّهِ صالحٌ فتبكىَ عليهمُ السماءُ[3] ، ولا مسجِدٌ فى الأرضِ فتبكىَ عليهمُ الأرضُ .

وبنحوِ الذى قلنا فى ذلك قال أهلُ التأويلِ[4] .

---

(١) ذكره البغوى فى تفسيره ٢٣٢/٧، وابن كثير فى تفسيره ٧/ ٢٤٠.

(٢) عزاه السيوطى فى الدر المنثور ٣١/٦ إلى المصنف وابن المنذر .

(٣) بعده فى ص ، ت ١، ت ٣: « والأرض » .

(٤) بعده فى ت ٣: « السماء تبكى على المؤمن الصالح والأرض تبكى على المؤمن الساجد عليها لله قال أهل التأويل » .

ذكرُ مَن قال ذلك

حدَّثنا أبو كريبٍ ، قال : ثنا طلقُ بنُ غَنَّامٍ ، عن زائدةَ ، عن منصورٍ ، عن المنهالِ ، عن سعيدِ بنِ جبيرٍ ، قال : أتَى ابنَ عباسٍ رجلٌ ، فقال : يا أبا عباسٍ ، أرأَيتَ قولَ اللَّهِ تبارك وتعالى : ﴿ فَمَا بَكَتْ عَلَيْهِمُ ٱلسَّمَآءُ وَٱلْأَرْضُ وَمَا كَانُوا۟ مُنظَرِينَ ﴾ . فهل تبكى السماءُ والأرضُ على أحدٍ ؟ قال : نعم ، إنه ليس أحدٌ مِن الخلائقِ إلا له بابٌ فى السماءِ ، منه ينزلُ رزقُه ، وفيه يصعَدُ عملُه ، فإذا مات المؤمنُ فأُغلِق بابُه مِن السماءِ الذى كان يصعدُ عملُه وينزلُ منه رزقُه ، بكَى عليه ، وإذا فقَده مُصلَّاهُ مِن الأرضِ التى كان / يُصلِّى فيها ويذكرُ اللَّهَ فيها ، بكَت عليه ، وإنّ قومَ فرعونَ لم يكنْ ١٢٥/٢٥
لهم فى الأرضِ آثارٌ صالحةٌ ، ولم يكنْ يصعدُ إلى السماءِ منهم خيرٌ ، قال : فلم تَبْكِ عليهم السماءُ والأرضُ[(١)] .

حدَّثنا ابنُ بشارٍ ، قال : ثنا عبدُ الرحمنِ ويحيى ، قالا : ثنا سفيانُ ، عن منصورٍ ، عن مجاهدٍ ، قال : كان يقالُ : تَبْكى الأرضُ على المؤمنِ أربعين صباحًا[(٢)] .

حدَّثنا ابنُ بشارٍ ، قال : ثنا عبدُ الرحمنِ ، قال : ثنا سفيانُ ، عن أبى يحيى القَتَّاتِ ، عن مجاهدٍ ، عن ابنِ عباسٍ بمثلِه[(٣)] .

حدَّثنى يحيى بنُ طلحةَ ، قال : ثنا فُضيلُ بنُ عياضٍ ، عن منصورٍ ، عن

---

(١) ذكره ابن كثير فى تفسيره ٧/٢٤٠ عن المصنف ، وأخرجه البيهقى فى شعب الإيمان (٣٢٨٨) من طريق زائدة به ، وعزاه السيوطى فى الدر المنثور ٦/٣٠ إلى عبد بن حميد وابن المنذر .

(٢) أخرجه البيهقى فى الشعب (٣٢٨٩) من طريق سفيان به ، وابن أبى شيبة ١٣/ ٥٧٠، ومن طريقه أبو نعيم فى الحلية ٣/٢٩٧ من طريق منصور به .

(٣) أخرجه ابن المبارك فى الزهد (٣٣٨) ، وابن أبى شيبة ١٣/٣٧٣ من طريق سفيان به ، وأخرجه أبو الشيخ فى العظمة (١١٨٣) من طريق إسرائيل به ، وأخرجه البيهقى فى الشعب (٣٢٩٠) من طريق مجاهد به .

مجاهدٍ ، قال : حدِّثتُ أنَّ المؤمنَ إذا مات بكَت عليه الأرضُ أربعينَ صباحًا .

حدَّثنا ابنُ بشارٍ ، قال : ثنا يعقوبُ بنُ إسحاقَ الحضرميُّ ، قال : ثنا بُكَيْرُ بنُ أبى السَّميطِ ، قال : ثنا قتادةُ ، عن سعيدِ بنِ جبيرٍ أنه كان يقولُ : إن بقاعَ الأرضِ التى كان يصعَدُ عملُه منها إلى السماءِ ، تَبْكى عليه بعدَ موتِه ، يعنى المؤمنَ[1] .

حدَّثنا ابنُ حميدٍ ، قال : ثنا حكامٌ ، عن عمرٍو ، عن منصورٍ ، عن المنهالِ ، عن سعيدِ ابنِ جبيرٍ ، عن ابنِ عباسٍ : ﴿فَمَا بَكَتْ عَلَيْهِمُ ٱلسَّمَآءُ وَٱلْأَرْضُ﴾ . قال : إنه ليس أحدٌ إلا له بابٌ فى السماءِ ينزلُ فيه رزقُه ، ويصعَدُ فيه عملُه ، فإذا فُقِد بكَت عليه مواضعُه التى كان يسجُدُ عليها ، وإنَّ قومَ فرعونَ لم يكنْ لهم فى الأرضِ عملٌ صالحٌ يُقْبَلُ منهم فيصعَدَ إلى اللَّهِ عزَّ وجلَّ . فقال مجاهدٌ : تَبْكى الأرضُ على المؤمنِ أربعين صباحًا .

حدَّثنا ابنُ حميدٍ ، قال : ثنا جريرٌ ، عن منصورٍ ، عن مجاهدٍ ، قال : كان يُقالُ : إنَّ المؤمنَ إذا مات بكَت عليه الأرضُ أربعينَ صباحًا .

حدَّثنا يحيى بنُ طلحةَ ، قال : ثنا عيسى بنُ يونسَ ، عن صفوانَ بنِ عمرٍو ، عن [٢/٨٠١و] شريحِ بنِ عُبيدٍ الحضرميِّ ، قال : قال رسولُ اللَّهِ ﷺ : « إنَّ الإسلامَ بدَأَ غريبًا ، وسيعودُ غريبًا ، أَلَا لا غُربةَ على المؤمنِ ، ما مات مؤمنٌ فى غُربةٍ غابت عنه فيها بَواكِيه ، إلا بكَت عليه السماءُ والأرضُ » . ثم قرَأ رسولُ اللَّهِ ﷺ : « ﴿فَمَا بَكَتْ عَلَيْهِمُ ٱلسَّمَآءُ وَٱلْأَرْضُ﴾ » . ثم قال : « إنهما لا يَبْكيان على الكافرِ »[2] .

حدَّثنى محمدُ بنُ سعدٍ ، قال : ثنى أبى ، قال : ثنى عمى ، قال : ثنى أبى ، عن

---

(١) ذكره القرطبى فى تفسيره ١٦/ ١٤٠.

(٢) ذكره ابن كثير فى تفسيره ٧/ ٢٣٩ عن المصنف ، وأخرجه البيهقى فى الشعب (٩٨٨٨) من طريق صفوان به . وعزاه السيوطى فى الدر المنثور ٦/ ٣٠ إلى ابن أبى الدنيا . وينظر كشف الخفاء ١/ ٢٨٢.

أبيه ، عن ابنِ عباسٍ قولَه : ﴿ فَمَا بَكَتْ عَلَيْهِمُ ٱلسَّمَآءُ وَٱلْأَرْضُ ﴾ الآية . قال : ذلك أنه ليس على الأرضِ مؤمنٌ يموتُ إلا بكَى عليه ما كان يُصلِّى فيه مِن المساجدِ حينَ يفقِدُه ، وإلا بكَى عليه من السماءِ الموضعُ الذى كان يُرفَعُ منه كلامُه ، فذلك قولُه لأهلِ معصيتِه : ﴿ فَمَا بَكَتْ عَلَيْهِمُ ٱلسَّمَآءُ وَٱلْأَرْضُ وَمَا كَانُوا۟ مُنظَرِينَ ﴾ ؛ لأنهما يبكيان على أولياءِ اللَّهِ[1] .

١٢٦/٢٥ / **حدَّثنا** بشرٌ ، قال : ثنا يزيدُ ، قال : ثنا سعيدٌ ، عن قتادةَ قولَه : ﴿ فَمَا بَكَتْ عَلَيْهِمُ ٱلسَّمَآءُ وَٱلْأَرْضُ ﴾[2] .

حدِّثتُ عن الحسينِ ، قال : سمِعتُ أبا معاذٍ يقولُ : أخبَرنا عبيدٌ ، قال : سمِعتُ الضحاكَ يقولُ فى قولِه : ﴿ فَمَا بَكَتْ عَلَيْهِمُ ٱلسَّمَآءُ وَٱلْأَرْضُ ﴾ . يقولُ : لا تَبْكى السماءُ والأرضُ على الكافرِ ، وتَبْكى على المؤمنِ الصالحِ معالُمه مِن الأرضِ ، ومقرُّ عملِه مِن السماءِ .

حدَّثنا ابنُ عبدِ الأعلى ، قال : ثنا ابنُ ثورٍ ، عن معمرٍ ، عن قتادةَ فى قولِه : ﴿ فَمَا بَكَتْ عَلَيْهِمُ ٱلسَّمَآءُ وَٱلْأَرْضُ ﴾ . قال : بِقاعُ المؤمنِ التى كان يُصلِّى عليها مِن الأرضِ تَبْكى عليه إذا مات ، وبقاعُه مِن السماءِ التى كان يُرفعُ فيها عملُه[3] .

حدَّثنا ابنُ حميدٍ ، قال : ثنا جريرٌ ، عن منصورٍ ، عن المنهالِ ، عن سعيدِ بنِ جبيرٍ ، قال : سُئِل ابنُ عباسٍ : هل تَبْكى السماءُ والأرضُ على أحدٍ ؟ فقال : نعم ، إنه

---

(١) ذكره ابن كثير فى تفسيره ٧/٢٤٠ عن العوفى به .

(٢) عزاه السيوطى فى الدر المنثور ٦/٣٠ إلى المصنف وعبد بن حميد ، ولفظه : هم كانوا أهون على الله من ذلك . قال : وكنا نحدث أن المؤمن تبكى عليه بقاعه التى كان يصلى فيها من الأرض ومصعد عمله من السماء .

(٣) أخرجه عبد الرزاق فى تفسيره ٢/٢٠٨ عن معمر به .

ليس أحدٌ مِن الخَلْقِ إلا له بابٌ فى السماءِ يصعَدُ فيه عملُه وينزِلُ منه رزقُه ، فإذا مات بكَى عليه مكانُه مِن الأرضِ الذى كان يذكُرُ اللَّهَ فيه ويُصلِّى فيه ، وبكَى عليه بابُه الذى كان يصعَدُ فيه عملُه وينزِلُ منه رزقُه ، وأما قومُ فرعونَ فلم يكنْ لهم آثارٌ صالحةٌ ، ولم يصعَدْ إلى السماءِ منهم خيرٌ ، فلم تبْكِ عليهم السماءُ والأرضُ (١) .

وقولُه : ﴿ وَمَا كَانُوا۟ مُنظَرِينَ ﴾ . يقولُ : وما كانوا مؤخَّرين بالعقوبةِ التى حلَّت بهم ، ولكنهم عُوجِلوا بها إذ أسْخَطوا ربَّهم عزَّ وجلَّ عليهم .

﴿ وَلَقَدْ نَجَّيْنَا بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ مِنَ ٱلْعَذَابِ ٱلْمُهِينِ ﴾ . يقولُ تعالى ذكرُه : ولقد نجَّينا بنى إسرائيلَ مِن العذابِ الذى كان فرعونُ وقومُه يعذِّبونهم به ، ﴿ ٱلْمُهِينِ ﴾ . يعنى : المذلِّ لهم .

وبنحوِ الذى قلنا فى ذلك قال أهلُ التأويلِ .

ذكرُ مَن قال ذلك

حدَّثنا بشرٌ ، قال : ثنا يزيدُ ، قال : ثنا سعيدٌ ، عن قتادةَ : ﴿ وَلَقَدْ نَجَّيْنَا بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ مِنَ ٱلْعَذَابِ ٱلْمُهِينِ ﴾ : يُقَتِّلُ أبناءَهم ، ويستحيى نساءَهم .

وقولُه : ﴿ مِن فِرْعَوْنَ ۚ إِنَّهُۥ كَانَ عَالِيًا مِّنَ ٱلْمُسْرِفِينَ ﴾ . يقولُ تعالى ذكرُه : ولقد نجَّينا بنى إسرائيلَ من العذابِ مِن فرعونَ .

فقولُه : ﴿ مِن فِرْعَوْنَ ۚ ﴾ . مكرَّرةٌ على قولِه : ﴿ مِنَ ٱلْعَذَابِ ٱلْمُهِينِ ﴾ . مُبْدَلةٌ مِن ﴿ مِن ﴾ الأولى .

ويعنى بقولِه : ﴿ إِنَّهُۥ كَانَ عَالِيًا مِّنَ ٱلْمُسْرِفِينَ ﴾ : إنه كان جبَّارًا مستعليًا

---

(١) تقدم تخريجه فى ص ٤٢ .

مستكبرًا على ربِّه ، ﴿ مِّنَ ٱلْمُسْرِفِينَ ﴾ . يعنى : مِن المتجاوِزين ما ليس لهم تجاوزُه . وإنما يعنى جلَّ ثناؤُه أنه كان ذا اعتداءٍ فى كفرِه ، واستكبارٍ[1] على ربِّه جلَّ ثناؤُه .

القولُ فى تأويلِ قولِه تعالى : ﴿ وَلَقَدِ ٱخْتَرْنَٰهُمْ عَلَىٰ عِلْمٍ عَلَى ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٣٢﴾ وَءَاتَيْنَٰهُم مِّنَ ٱلْءَايَٰتِ مَا فِيهِ بَلَٰٓؤٌا۟ مُّبِينٌ ﴿٣٣﴾ ﴾ .

١٢٧/٢٥ / يقولُ تعالى ذكرُه : ولقد اختَرْنا بنى إسرائيلَ على علمٍ منَّا بهم ، على عالَمى[2] أهلِ زمانِهم يومَئذٍ ، وذلك زمانَ[3] موسى عليه السلامُ .

وبنحوِ الذى قلنا فى ذلك قال أهلُ التأويلِ .

ذكرُ مَن قال ذلك

حدَّثنا بشرٌ ، قال : ثنا يزيدُ ، قال : ثنا سعيدٌ ، عن قتادةَ قولَه : ﴿ وَلَقَدِ ٱخْتَرْنَٰهُمْ عَلَىٰ عِلْمٍ عَلَى ٱلْعَٰلَمِينَ ﴾ . أى : اختيروا على أهلِ زمانِهم ذلك ، ولكلِّ زمانٍ عالَمٌ .

حدَّثنا ابنُ عبدِ الأعلى ، قال : ثنا ابنُ ثورٍ ، عن معمرٍ ، عن قتادةَ فى قولِه : ﴿ وَلَقَدِ ٱخْتَرْنَٰهُمْ عَلَىٰ عِلْمٍ عَلَى ٱلْعَٰلَمِينَ ﴾ . قال : عالَمِ ذلك الزمانِ[4] .

حدَّثنى محمدُ بنُ عمرٍو ، قال : ثنا أبو عاصمٍ ، قال : ثنا عيسى ، **وحدَّثنى** الحارثُ ، قال : ثنا الحسنُ ، قال : ثنا ورقاءُ ، جميعًا عن ابنِ أبى نجيحٍ ، عن مجاهدٍ

---

(١) فى ص ، ت ١ ، ت ٢ ، ت ٣ : « واستكبارًا » .

(٢) فى ص ، ت ٣ : « عالى » .

(٣) فى ص ، ت ١ ، ت ٢ ، ت ٣ : « امام » ، ولعل صوابها : « أيام » .

(٤) أخرجه عبد الرزاق فى تفسيره ٢٠٨/٢ عن معمر به ، وعزاه السيوطى فى الدر المنثور ٣١/٦ إلى عبد بن حميد وابن المنذر .

قولَه : ﴿ وَلَقَدِ ٱخْتَرْنَٰهُمْ عَلَىٰ عِلْمٍ عَلَى ٱلْعَٰلَمِينَ ﴾ . قال : على مَن هم بين ظَهْرَانَيه[1] .

قولُه : ﴿ وَءَاتَيْنَٰهُم مِّنَ ٱلْءَايَٰتِ مَا فِيهِ بَلَٰٓؤٌا۟ مُّبِينٌ ﴾ . يقولُ تعالى ذكرُه : وأعطَيْناهم مِن العِبَرِ والعِظاتِ ما فيه اختبارٌ يَبِينُ لمن تأمَّله أنه اختبارٌ اختبَرهم اللَّهُ تعالى به .

واختلَف أهلُ التأويلِ فى ذلك البلاءِ؛ **فقال بعضُهم** : ابتلاهم بنعَمِه عندَهم .

ذكرُ مَن قال ذلك

حدَّثنا بشرٌ ، قال : ثنا يزيدُ ، قال : ثنا سعيدٌ ، عن قتادةَ قولَه : ﴿ وَءَاتَيْنَٰهُم مِّنَ ٱلْءَايَٰتِ مَا فِيهِ بَلَٰٓؤٌا۟ مُّبِينٌ ﴾ : أنجَاهم اللَّهُ مِن عدوِّهم ، ثم أقطَعهم البحرَ ، وظلَّل عليهم الغمامَ وأنزَل عليهم المنَّ والسلوى[2] .

وقال آخرون : بل ابتلاهم بالرخاءِ والشدَّةِ .

ذكرُ مَن قال ذلك

حدَّثنى يونسُ ، قال : أخبَرنا ابنُ وهبٍ ، قال : قال ابنُ زيدٍ فى قولِه : ﴿ وَءَاتَيْنَٰهُم مِّنَ ٱلْءَايَٰتِ مَا فِيهِ بَلَٰٓؤٌا۟ مُّبِينٌ ﴾ . وقرأ : ﴿ وَنَبْلُوكُم بِٱلشَّرِّ وَٱلْخَيْرِ فِتْنَةً وَإِلَيْنَا تُرْجَعُونَ ﴾ [الأنبياء : ٣٥] . وقال : بلاءٌ مُبِينٌ لمن آمن بها وكفَر بها ، بَلْوى نبتليهم بها ؛ نُمحِّصُهم ، بَلْوى اختبارٍ نختبرُهم بالخيرِ والشرِّ ، نختبرُهم لننظُرَ

---

(١) تفسير مجاهد ص ٥٩٨ ، ومن طريقه الفريابى - كما فى تغليق التعليق ٤/ ٣١٠ - وعزاه السيوطى فى الدر المنثور ٦/ ٣١ إلى ابن المنذر .

(٢) عزاه السيوطى فى الدر المنثور ٦/ ٣١ إلى المصنف وعبد بن حميد وابن المنذر .

فيما أتاهم مَن الآياتِ مَن يؤمنُ بها وينتفِعُ بها ويضيِّعُها[١] .

وأولى الأقوالِ فى ذلك بالصوابِ أن يقالَ : إنّ اللَّهَ تعالى ذكرُه أخبَر [٢/١٠٨ظ] أنه آتَى بنى إسرائيلَ مِن الآياتِ ما فيه ابتلاؤُهم واختبارُهم ، وقد يكونُ الابتلاءُ والاختبارُ بالرخاءِ ، ويكونُ بالشدَّةِ ، ولم يضَعْ لنا دليلًا مِن خبرٍ ولا عقلٍ أنه عَنى بعضَ ذلك دونَ بعضٍ ، وقد كان اللَّهُ اختبرَهم[٢] بالمعنَيَيْن كليهما جميعًا . وجائزٌ أن يكونَ عَنى اختبارَه[٣] إياهم بهما . فإذ كان الأمرُ على ما وصفْنا ، فالصوابُ مِن القولِ فيه أن نقولَ كما قال جلَّ ثناؤُه : إنَّه اختبَرهم .

/ القولُ فى تأويلِ قولِه تعالى : ﴿ إِنَّ هَٰٓؤُلَآءِ لَيَقُولُونَ ﴿٣٤﴾ إِنْ هِىَ إِلَّا مَوْتَتُنَا ٱلْأُولَىٰ وَمَا نَحْنُ بِمُنشَرِينَ ﴿٣٥﴾ فَأْتُوا۟ بِـَٔابَآئِنَآ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ ﴿٣٦﴾ ﴾ . ١٢٨/٢٥

يقولُ تعالى ذكرُه مخبرًا عن قيلِ مشرِكى قريشٍ لنبىِّ[٤] اللَّهِ ﷺ : إنَّ هؤلاء المشرِكين من قومِك يا محمدُ ليقولون : ما هى إلا مَوْتَتُنا الأُولى التى نموتُها ، وهى الموتةُ الأولى ، فما نحن بمُنْشرين بعدَ مماتِنا ، ولا بمبعوثين . تكذيبًا منهم بالبعثِ والثوابِ والعقابِ .

وبنحوِ الذى قلنا فى ذلك قال أهلُ التأويلِ .

ذكرُ مَن قال ذلك

حدَّثنا بشرٌ ، قال : ثنا يزيدُ ، قال : ثنا سعيدٌ ، عن قتادةَ : ﴿ إِنَّ هَٰٓؤُلَآءِ لَيَقُولُونَ ﴿٣٤﴾ إِنْ هِىَ إِلَّا مَوْتَتُنَا ٱلْأُولَىٰ وَمَا نَحْنُ بِمُنشَرِينَ ﴾ . قال : قد قال

(١) ذكره البغوى فى تفسيره ٧/ ٢٣٣، والقرطبى فى تفسيره ١٦/١٤٣ مختصرًا .
(٢) فى ص ، ت ٢، ت ٣: « أخبرهم » .
(٣) فى ص ، ت ١، ت ٢، ت ٣: « اختبارهم » .
(٤) فى ص ، ت ١، ت ٢، ت ٣: « نبى » .

مشركو[(١)] العرب : ﴿ وَمَا نَحْنُ بِمُنشَرِينَ ﴾ . أى : بمبعوثين[(٢)] .

وقولُه : ﴿ فَأْتُوا بِـَٔابَآئِنَآ إِن كُنتُمْ صَـٰدِقِينَ ﴾ . يقولُ تعالى ذكرُه : قالوا لمحمدٍ عليه الصلاةُ والسلامُ : فأْتوا بآبائِنا الذين قد ماتوا ، إن كنتم صادقين أنَّ اللَّهَ باعثُنا من بعدِ بِلانا فى قبورِنا ، ومُحْيِينا من بعدِ مماتِنا . وخُوطِب ﷺ هو وحدَه خطابَ الجميعِ ، كما قيل : ﴿ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِىُّ إِذَا طَلَّقْتُمُ ٱلنِّسَآءَ ﴾ [الطلاق : ١] . وكما قال : ﴿ رَبِّ ٱرْجِعُونِ ﴾ [المؤمنون : ٩٩] . وقد بيَّنتُ ذلك فى غيرِ موضعٍ من كتابِنا[(٣)] .

القولُ فى تأويلِ قولِه تعالى : ﴿ أَهُمْ خَيْرٌ أَمْ قَوْمُ تُبَّعٍ وَٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ ۚ أَهْلَكْنَـٰهُمْ ۚ إِنَّهُمْ كَانُوا۟ مُجْرِمِينَ ﴿٣٧﴾ ﴾ .

يقولُ تعالى ذكرُه لنبيِّه محمدٍ ﷺ : أهؤلاء المشركون يا محمدُ من قومِك خيرٌ ، ﴿ أَمْ قَوْمُ تُبَّعٍ ﴾ . يعنى : تُبَّعًا الحِمْيَرِىَّ .

كما **حدَّثنى** محمدُ بنُ عمرٍو ، قال : ثنا أبو عاصمٍ ، قال : ثنا عيسى ، **وحدَّثنى** الحارثُ ، قال : ثنا الحسنُ ، قال : ثنا ورقاءُ ، جميعًا عن ابنِ أبى نجيحٍ ، عن مجاهدٍ فى قولِ اللَّهِ عزَّ وجلَّ : ﴿ أَهُمْ خَيْرٌ أَمْ قَوْمُ تُبَّعٍ ﴾ . قال : الحِمْيَرِىِّ .

حدَّثنا بشرٌ ، قال : ثنا يزيدُ ، قال : ثنا سعيدٌ ، عن قتادةَ : ﴿ أَهُمْ خَيْرٌ أَمْ قَوْمُ تُبَّعٍ ﴾ : ذُكِر لنا أن تُبَّعًا كان رجلًا من حِمْيَرَ ، سارَ بالجيوشِ حتى حيَّر الحِيرةَ ، ثم أتَى سَمَرْقَندَ فهدَمها . وذُكِر لنا أنه كان إذا كَتَب كتَب : باسمِ الذى تسمَّى ، وملَك

---

(١) بعده فى ت ١: « قريش و » .

(٢) عزاه السيوطى فى الدر المنثور ٦/٣١ إلى المصنف وعبد بن حميد وابن المنذر .

(٣) بعده فى ت١: « هذا » ، وفى ت٢، ت٣: « هذا بما أغنى عن إعادته » . ينظر ما تقدم ٢/٤٠٤ وما بعدها .

برًّا وبحرًا ، وصَحًا[١] وريحًا . وذُكِر لنا أن كعبًا كان يقولُ : نُعِت نَعْتَ الرجلِ الصالحِ ، ذمَّ اللَّهُ قومَه ولم يَذُمَّه . وكانت عائشةُ تقولُ : لا تَسُبُّوا تُبَّعًا ، فإنَّه كان رجلًا صالحًا[٢] .

١٢٩/٢٥ / **حدَّثنا** ابنُ عبدِ الأعلى ، قال : ثنا ابنُ ثورٍ ، عن معمرٍ ، عن قتادةَ ، قال : قالت عائشةُ : كان تُبَّعٌ رجلًا صالحًا . وقال كعبٌ : ذمَّ اللهُ قومَه ولم يَذُمَّه[٣] .

حدَّثنا ابنُ عبدِ الأعلى ، قال : ثنا ابنُ ثورٍ ، عن معمرٍ ، عن تميمِ بنِ عبدِ الرحمنِ ، عن سعيدِ بنِ جبيرٍ ، أن تبَّعًا كسا البيتَ . ونهَى سعيدٌ عن سبِّه[٤] .

وقولُه : ﴿ وَٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ ﴾ . يقولُ تعالى ذكرُه : أهؤلاء المشركون من قُريشٍ (٥ خيرٌ أم ٥) قومُ تُبَّعٍ والذين من قبلِهم من الأممِ الكافرةِ بربِّها ؟ يقولُ : فليس هؤلاء بخيرٍ من أولئك فنَصْفَحَ عنهم ولا نُهْلِكَهم ، وهم باللهِ كافرون ، كما كان الذين أَهْلَكْنا من الأممِ قبلَهم كفارًا .

وقولُه : ﴿ إِنَّهُمْ كَانُوا۟ مُجْرِمِينَ ﴾ . يقولُ : إن قومَ تُبَّعٍ والذين من قبلِهم من الأممِ الذين أَهْلَكناهم ؛ إنما أهلَكْناهم لإجرامِهم ، وكفرِهم بربِّهم .

وقيل : ﴿ إِنَّهُمْ كَانُوا۟ مُجْرِمِينَ ﴾ . فكُسِرت ألفُ « إن » على وَجْهِ الابتداءِ وفيها

---

(١) من الصحو وهو ذهاب الغيم . ينظر اللسان (ص ح و) .

(٢) ذكره ابن كثير ٧/ ٢٤٤، وعزاه السيوطى فى الدر المنثور ٦/ ٣١ إلى المصنف وعبد بن حميد ، وليس عندهما قول قتادة .

(٣) أخرجه عبد الرزاق فى تفسيره ٢/ ٢٠٨، ومن طريقه ابن عساكر فى تاريخه ١١/ ٦ - عن معمر به ، وأخرجه الحاكم ٢/ ٤٥٠ من طريق عبد الرزاق ، عن معمر ، عن الزهرى ، عن عروة ، عن عائشة ، وعزاه السيوطى فى الدر المنثور ٦/ ٣١ إلى عبد بن حميد .

(٤) أخرجه عبد الرزاق فى تفسيره ٢/ ٢٠٨، ٢٠٩، ومن طريقه ابن عساكر فى تاريخه ١١/ ٧- عن معمر به ، وعزاه السيوطى فى الدر المنثور ٦/ ٣١ إلى ابن المنذر .

(٥ - ٥) فى ص ، ت ٢: « خيرًا من » .

معنى الشرطِ ، استغناءً بدلالةِ الكلامِ على معناها .

القولُ فى تأويل قولِه تعالى : ﴿وَمَا خَلَقْنَا ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا لَٰعِبِينَ ﴿٣٨﴾ مَا خَلَقْنَٰهُمَآ إِلَّا بِٱلْحَقِّ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٣٩﴾﴾ .

يقولُ تعالى ذكرُه : وما خَلَقْنا السماواتِ السبعَ والأرَضِين وما بينَهما من الخلقِ لعِبًا .

وقولُه : ﴿مَا خَلَقْنَٰهُمَآ إِلَّا بِٱلْحَقِّ﴾ . يقولُ : ما خلَقْنا السماواتِ والأرضَ إلا بالحقِّ الذى لا يَصْلُحُ التدبيرُ إلا به .

وإنما يَعْنى بذلك تعالى ذكرُه التنبيهَ على صحةِ البعثِ والمجازاةِ ، يقولُ تعالى ذكرُه : لم نَخْلُقِ الخلقَ عَبَثًا ، بأن نُحدِثَهم فنُحْييَهم ما أردنا ، ثم نُفْنِيَهم من غيرِ الامتحانِ بالطاعةِ والأمرِ والنهيِ ، من غيرِ مجازاةِ المطيعِ على طاعتِه ، والعاصى على المعصيةِ ، ولكنَّا خلَقْنا ذلك لنَبْتَلِيَ من أردنا امتحانَه من خلقِنا ، بما شِئْنا من امتحانِه من الأمرِ والنهيِ ، ولِنَجْزِيَ الذين أساءوا بما عمِلوا ولِنَجْزِيَ [٢/٨٠٢و] الذين أحسَنوا بالحُسْنَى .

﴿وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لَا يَعْلَمُونَ﴾ . يقولُ تعالى ذكرُه : ولكن أكثرَ هؤلاء المشركين باللّهِ ، لا يَعْلَمون أنَّ اللّهَ خلَق ذلك لهم ، فهم لا يخافون على ما يَأْتون من سخَطِ اللّهِ ، عقوبةً ، ولا يَرْجُون على خيرٍ إنْ فعَلوه ، ثوابًا ؛ لتكذيبِهم بالمعاد .

القولُ فى تأويلِ قولِه تعالى : ﴿إِنَّ يَوْمَ ٱلْفَصْلِ مِيقَٰتُهُمْ أَجْمَعِينَ ﴿٤٠﴾ يَوْمَ لَا يُغْنِى مَوْلًى عَن مَّوْلًى شَيْـًٔا وَلَا هُمْ يُنصَرُونَ ﴿٤١﴾ إِلَّا مَن رَّحِمَ ٱللَّهُ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلرَّحِيمُ ﴿٤٢﴾﴾ .

يقولُ تعالى ذكرُه : إنَّ يومَ فصلِ اللّهِ القضاءَ بينَ خلقِه ، بما أسلَفوا فى دنياهم

من خيرٍ أو شرٍّ، بجزائهِ المحسنَ بالإحسانِ، والمسيءَ بالإساءةِ، ﴿ مِيقَٰتُهُمْ أَجْمَعِينَ ﴾ . يقولُ : ميقاتُ اجتماعِهم أجمعين .

١٣٠/٢٥ / كما **حدَّثنا** بشرٌ، قال : ثنا يزيدُ، قال ثنا سعيدٌ، عن قتادةَ قولَه : ﴿ إِنَّ يَوْمَ ٱلْفَصْلِ مِيقَٰتُهُمْ أَجْمَعِينَ ﴾ : يومَ يَفْصِلُ فيه بينَ الناسِ بأعمالِهم[1] .

وقولُه : ﴿ يَوْمَ لَا يُغْنِى مَوْلًى عَن مَّوْلًى شَيْـًٔا ﴾ . يقولُ : لا يَدْفَعُ ابنُ عمٍّ عن ابنِ عمٍّ ولا صاحبٌ عن صاحبِه شيئًا، من عقوبةِ اللَّهِ التى حلَّت بهم[2] من اللَّهِ، ﴿ وَلَا هُمْ يُنصَرُونَ ﴾ . يقولُ : ولا يَنْصُرُ بعضُهم بعضًا، فيَسْتَعيذوا ممن نالهم بعقوبةٍ، كما كانوا يَفْعَلُون فى الدنيا .

كما **حدَّثنا** بشرٌ، قال : ثنا يَزيدُ، قال : ثنا سعيدٌ، عن قتادةَ قولَه : ﴿ يَوْمَ لَا يُغْنِى مَوْلًى عَن مَّوْلًى شَيْـًٔا ﴾ الآية : انقَطَعت الأسبابُ يومَئذٍ بابنِ آدمَ، وصار الناسُ إلى أعمالِهم، فمن أصاب يومَئذٍ خيرًا سعِد به آخرَ ما عليه، ومن أصاب يومَئذٍ شرًّا شقِى به آخرَ ما عليه[1] .

وقولُه : ﴿ إِلَّا مَن رَّحِمَ ٱللَّهُ ﴾ . اختلَف أهلُ العربيةِ فى موضعِ ﴿ مَن ﴾ فى قولِه : ﴿ إِلَّا مَن رَّحِمَ ٱللَّهُ ﴾ ؛ فقال بعضُ نحويِّى البصرةِ : ﴿ إِلَّا مَن رَّحِمَ ٱللَّهُ ﴾ . فجعَله بدلًا من الاسمِ المضمرِ فى : ﴿ يُنصَرُونَ ﴾ . وإن شِئْتَ جعَلتَه مبتدأً، وأضمَرتَ خبرَه، تُريدُ به : إلا من رحِم اللَّهُ فيُغْنى عنه .

وقال بعضُ نحويِّى الكوفةِ[3] قولَه : ﴿ إِلَّا مَن رَّحِمَ ٱللَّهُ ﴾ . قال : المؤمنون يَشْفَعُ بعضُهم فى بعضٍ، فإن شِئْتَ فاجعَلْ ﴿ مَن ﴾ فى موضعِ رفعٍ، كأنك قُلْتَ :

---

(١) عزاه السيوطى فى الدر المنثور ٦/٣٢ إلى المصنف وعبد بن حميد .

(٢) فى ص، ت ٢، ت ٣: « به » .

(٣) هو الفراء فى معانى القرآن ٣/ ٤٢.

لا يقومُ أحدٌ إلا فلانٌ . وإن شِئْتَ جعَلتَه نصبًا على الاستثناءِ والانقطاعِ عن أولِ الكلامِ ، تُريدُ : اللهمَّ إلَّا مَن (١رحِم اللَّهُ١) .

وقال آخرُ(٢) منهم : معناه : لا يُغْنى مولًى عن مولًى شيئًا ، إلَّا من أذِن اللَّهُ له أن يَشْفَعَ . قال : لا يكونُ بدلًا مما فى ﴿ يُنصَرُونَ ﴾ ؛ لأن ﴿ إِلَّا ﴾ محقَّقٌ ، والأولَ مَنْفيٌّ ، والبدلُ لا يكونُ إلا بمعنى الأولِ . قال : وكذلك لا يجوزُ أن يكونَ مُسْتأنفًا ؛ لأنه لا يُسْتأْنفُ بالاستثناءِ .

وأولى الأقوالِ فى ذلك بالصوابِ أن يكونَ فى موضعِ رفعٍ ، بمعنى : يومَ لا يُغْنى مولًى عن مولًى شيئًا إلا من رحِم اللَّهُ منهم ، فإنه يُغْنى عنه ، بأن يَشْفَعَ له عندَ ربِّه .

وقولُه : ﴿ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلرَّحِيمُ ﴾ . يقولُ جلَّ ثناؤه واصفًا نفسَه : إنَّ اللَّهَ هو العزيزُ فى انتقامِه من أعدائِه ، الرحيمُ بأوليائِه وأهلِ طاعتِه .

القولُ فى تأويلِ قولِه تعالى : ﴿ إِنَّ شَجَرَتَ ٱلزَّقُّومِ ﴿٤٣﴾ طَعَامُ ٱلْأَثِيمِ ﴿٤٤﴾ كَٱلْمُهْلِ يَغْلِى فِى ٱلْبُطُونِ ﴿٤٥﴾ كَغَلْىِ ٱلْحَمِيمِ ﴿٤٦﴾ ﴾ .

يقولُ تعالى ذكرُه : إن شَجَرةَ الزَّقُّومِ التى أخبَر أنها تَنبُتُ فى أصلِ الجحيمِ ، التى جعَلها طعامًا لأهلِ الجحيمِ ، ثمرُها فى الجحيمِ - طعامُ الآثمِ فى الدنيا بربِّه . والأثيمُ ذو الإثمِ ، والإثمُ مِن : أَثِم يَأْثَمُ فهو أَثِيمٌ . وعُنِى به فى هذا الموضعِ الذى إثمُه الكفرُ بربِّه دونَ غيرِه من الآثامِ .

وقد **حدَّثنا** محمدُ بنُ بشَّارٍ ، قال : ثنا عبدُ الرحمنِ ، قال : ثنا سفيانُ ، عن

(١ - ١) فى المعانى : « رحِمت » .

(٢) فى م : « آخرون » .

١٣١/٢٥ الأعمشِ ، عن إبراهيمَ ، عن / همَّامِ بنِ الحارثِ ، أنَّ أبا الدرداءِ كان يُقْرِئُ رجلًا : ﴿ إِنَّ شَجَرَتَ ٱلزَّقُّومِ ﴿٤٣﴾ طَعَامُ ٱلْأَثِيمِ ﴾ . فقال : طعامُ اليتيمِ . فقال أبو الدرداءِ : قُلْ : إنَّ شجرةَ الزقومِ طعامُ الفاجرِ[(١)] .

حدَّثنا أبو كريبٍ ، قال : ثنا يحيى بنُ عيسى ، عن الأعمش ، عن أبى يحيى ، عن مجاهدٍ ، عن ابنِ عباسٍ قال : لو أنَّ قطرةً من زَقُّومِ جهنمَ أُنزلت إلى الدنيا لأفسَدت على الناسِ معايشَهم[(٢)] .

حدَّثنى أبو السائبِ ، قال : ثنا أبو معاويةَ ، عن الأعمشِ ، عن إبراهيمَ ، عن همامٍ ، قال : كان أبو الدرداءِ يُقْرِئُ رجلًا : ﴿ إِنَّ شَجَرَتَ ٱلزَّقُّومِ ﴿٤٣﴾ طَعَامُ ٱلْأَثِيمِ ﴾ . قال : فجعَل الرجلُ يقولُ : إن شجرةَ الزقومِ طعامُ اليتيمِ . قال : فلما أكثَر عليه أبو الدرداءِ ، ورآه لا يَفْهَمُ قال : إنَّ شجرةَ الزقومِ طعامُ الفاجرِ .

حدَّثنى يونسُ ، قال : أخبَرنا ابنُ وهبٍ ، قال : قال ابنُ زيدٍ فى قولِه : ﴿ إِنَّ شَجَرَتَ ٱلزَّقُّومِ ﴿٤٣﴾ طَعَامُ ٱلْأَثِيمِ ﴾ . قال : أبو جهلٍ[(٣)] .

وقولُه : ﴿ كَٱلْمُهْلِ يَغْلِى فِى ٱلْبُطُونِ ﴾ . يقولُ تعالى ذكرُه : إنَّ شجرةَ الزقومِ التى جعَل ثمرتَها طعامَ الكافرِ فى جهنمَ ، كالرَّصاصِ [٢/٨٠٢ظ] أو الفضةِ أو ما يُذَابُ فى النارِ إذا أُذيبَ بها فتناهَتْ حرارتُه وشدَّةُ حِمْيتِه - فى شدةِ السوادِ .

---

(١) أخرجه عبد الرزاق فى مصنفه ٣/٣٦٤ عن الثورى به ، وأخرجه الحاكم ٢/٤٥١ من طريق الأعمش به ، وعزاه السيوطى فى الدر المنثور ٦/٣٢ إلى سعيد بن منصور وعبد بن حميد وابن المنذر .

(٢) أخرجه ابن أبى شيبة ١٣/١٦١ ، وابن أبى الدنيا فى صفة النار (٧٩) ، والبيهقى فى البعث (٥٩٧) من طريق يحيى به ، وأخرجه أحمد ٥/٢٣٧ (٣١٣٧) من طريق الأعمش به .

(٣) ينظر البحر المحيط ٨/ ٣٩.

وقد بيَّنا معنى « المُهل » فيما مضَى ، بما أغنَى عن إعادتِه فى هذا الموضعِ ، من الشَّواهدِ ، وذكرِ اختلافِ أهلِ التأويلِ فيه[١] ، غيرَ أنَّا نَذْكُرُ من أقوالِ أهلِ العلمِ فى هذا الموضعِ ما لم نَذْكُرْه هناك .

حدَّثنا سليمانُ بنُ عبدِ الجبارِ ، قال : ثنا محمدُ بنُ الصلتِ ، قال : ثنا أبو كُدَيْنةَ ، عن قابوسَ ، عن أبيه ، قال : سألتُ ابنَ عباسٍ عن قولِ اللَّهِ تعالى : ﴿ كَٱلْمُهْلِ ﴾ . قال . كدُرْدِيِّ الزيتِ .

حدَّثنى علىٌّ بنُ سهلٍ[٢] ، قال : ثنا أبو صالحٍ ، قال : ثنى معاويةُ ، عن علىٍّ ، عن ابنِ عباسٍ قولَه : ﴿ كَٱلْمُهْلِ يَغْلِى فِى ٱلْبُطُونِ ﴾ . يقولُ : أسودُ كمُهْلِ الزيتِ[٣] .

حدَّثنا أبو كريبٍ وأبو السائبِ ويعقوبُ بنُ إبراهيمَ ، قالوا : ثنا ابنُ إدريسَ ، قال : سمِعتُ مطرِّفًا ، عن عطيةَ بنِ سعدٍ ، عن ابنِ عباسٍ فى قولِه : ﴿ كَٱلْمُهْلِ ﴾ . قال : ماءٌ غليظٌ كدُرْدِيِّ الزيتِ[٤] .

حدَّثنى يحيى بنُ طلحةَ ، قال : ثنا شريكٌ ، عن مطرِّفٍ ، عن رجلٍ ، عن ابنِ عباسٍ فى قولِه : ﴿ كَٱلْمُهْلِ ﴾ . قال : كدُرْدِيِّ الزيتِ .

حدَّثنا ابنُ المثنى ، قال : ثنا عبدُ الصمدِ ، قال : ثنا شعبةُ ، قال : ثنا خليدٌ ، عن الحسنِ ، عن ابنِ عباسٍ أنه رأى فضةً قد أُذِيبت ، فقال : هذا المُهْلُ[٥] .

---

(١) ينظر ما تقدم فى ١٥/ ٢٤٨.

(٢) كذا فى النسخ ، وتقدم مرارًا أنه على بن داود .

(٣) أخرجه البيهقى فى البعث (٦٠٦) من طريق أبى صالح به ، وينظر ما تقدم تخريجه ١٥/٢٤٩.

(٤) أخرجه هناد فى الزهد (٢٨٣) ، وابن أبى حاتم - كما فى التغليق ٤/ ٣١٠ - من طريق مطرف به ، وعزاه السيوطى فى الدر المنثور ٤/ ٢٢١ إلى ابن أبى شيبة وابن المنذر .

(٥) ينظر التبيان ٩/ ٢٣٧، والبحر المحيط ٨/ ٣٩.

حدَّثنا أبو كريبٍ ، قال : ثنا أبو معاويةَ ، قال : ثنا عمرُو بنُ ميمونٍ ، عن أبيه ، عن عبدِ اللَّهِ فى قولِه : ﴿ كَٱلْمُهْلِ يَشْوِى ٱلْوُجُوهَ ﴾ [الكهف : ٢٩] . قال : دخَل عبدُ اللَّهِ بيتَ المالِ ، فأخرَج سِقَايةً[1] كانت فيه ، فأوقَد عليها النارَ حتى تلألأت ، قال : أينَ السائلُ عن المهلِ ؟ هذا المهلُ .

حدَّثنا ابنُ بشارٍ ، قال : ثنا ابنُ أبى عديٍّ ، **وحدَّثنا** محمدُ بنُ المثنَّى ، قال : ثنا خالدُ بنُ الحارثِ ، عن عوفٍ ، عن الحسنِ ، قال : بلَغنى أن ابنَ مسعودٍ سُئل عن المهلِ الذى يقولون يومَ القيامةِ : شرابُ أهلِ النارِ . / وهو على بيتِ المالِ ، قال : فدعَا ١٣٢/٢٥
بذهبٍ وفضةٍ فأذابَهما ، فقال : هذا أشبهُ شىءٍ فى الدنيا بالمهلِ الذى هو لونُ السماءِ يومَ القيامةِ ، وشرابُ أهلِ النارِ ، غيرَ أنَّ ذلك هو أشدُّ حرًّا من هذا . لفظُ الحديثِ لابنِ بشارٍ ، وحديثُ ابنِ المثنى نحوُه .

حدَّثنا أبو كُرَيبٍ وأبو السائبِ ، قالا : ثنا ابنُ إدريسَ ، قال : أخبَرنا أشعثُ ، عن الحسنِ ، قال : كان من كلامِه ، أن عبدَ اللَّهِ بنَ مسعودٍ رجلٌ أكرَمه اللَّهُ بصحبةِ محمدٍ ﷺ ، فإن عمرَ استعمَله على بيتِ المالِ ، قال : فعمِد إلى فضةٍ كثيرةٍ مُكسَّرةٍ ، فخدَّ لها أُخدودًا ، ثم أمَر بحطبٍ جَزْلٍ فأوقَد عليها ، حتى إذا امَّاعت وتزبَّدت وعادت ألوانًا ، قال : انظُروا مَن بالبابِ . فأُدخِل القومُ ، فقال لهم : هذا أشبهُ ما رأينا فى الدنيا بالمُهْلِ .

حدَّثنا بشرٌ ، قال : ثنا يزيدُ ، قال : ثنا سعيدٌ ، عن قتادةَ قولَه : ﴿ إِنَّ شَجَرَتَ ٱلزَّقُّومِ ﴿٤٣﴾ طَعَامُ ٱلْأَثِيمِ ﴾ الآية : ذُكِر لنا أن ابنَ مسعودٍ أُهديَت له سقايةٌ من ذهبٍ وفضةٍ ، فأمَر بأُخدودٍ فخُدَّت فى الأرضِ ، ثم قُذِف فيها من جَزْلِ الحطبِ ، ثم قُذِفت فيها تلك السقايةُ ، حتى إذا أزبَدت وانْماعت قال لغلامِه : ادعُ مَن بحضرتِنا

---

(١) فى م : « بقايا » ، وفى ت ١ : « نفاية » ، وفى ت ٢ ، ت ٣ : « بقاية » .

من أهلِ الكوفةِ . فدعا رهطًا ، فلما دخَلوا قال : أتَرَون هذا ؟ قالوا : نعمْ . قال : ما رأينا فى الدنيا شبيهًا للمُهْلِ أدنى من هذا الذهبِ والفضةِ حينَ أزبَد وانْماع[(١)] .

حدَّثنا أبو هشامٍ الرفاعىُّ ، قال : ثنا ابنُ يمانٍ ، قال : ثنا سفيانُ ، عن الأعمشِ ، عن عبدِ اللَّهِ بنِ سفيانَ الأسَدىِّ ، قال : أذاب عبدُ اللَّهِ بنُ مسعودٍ فضةً ، ثم قال : مَن أراد أن يَنْظُرَ إلى المهلِ فليَنْظُرْ إلى هذا[(٢)] .

حدَّثنا بشرٌ ، قال : ثنا يزيدُ[(٣)] ، عن قابوسَ ، عن أبيه ، [٢/٨٠٣و] عن ابنِ عباسٍ فى قولِه : ﴿ يَوْمَ تَكُونُ ٱلسَّمَآءُ كَٱلْمُهْلِ ﴾ [المعارج : ٨] . قال : كدُرْدِىِّ الزيتِ .

حدَّثنى يحيى بنُ طلحةَ ، قال : ثنا شريكٌ ، عن سالمٍ ، عن سعيدٍ : ﴿ كَٱلْمُهْلِ ﴾ . قال : كدُرْدِىِّ الزيتِ[(٤)] .

حدَّثنا ابنُ المثنَّى ، قال : ثنا يَعْمَرُ بنُ بشرٍ ، قال : ثنا ابنُ المباركِ ، قال : ثنا أبو الصبَّاحِ ، قال : سمِعتُ يزيدَ بنَ أبى سُميةَ يقولُ : سمِعتُ ابنَ عمرَ يقولُ : هل تَدْرون ما المهلُ ؟ المهلُ : مُهْلُ الزيتِ . يعنى آخرَه[(٥)] .

قال : ثنا إبراهيمُ أبو إسحاقَ الطالقانىُّ ، قال : ثنا ابنُ المباركِ ، قال : أخبَرنا أبو الصبَّاحِ الأيلىُّ ، عن يزيدَ بنِ أبى سميةَ ، عن ابنِ عمرَ بمثلِه .

حدَّثنا أبو كريبٍ ، قال : ثنا رِشدِينُ بنُ سعدٍ ، عن عمرِو بنِ الحارثِ ، عن درَّاجٍ أبى السمحِ ، عن أبى الهيثمِ ، عن أبى سعيدٍ ، عن النبىِّ ﷺ فى قولِه : ﴿ بِمَآءٍ كَٱلْمُهْلِ ﴾ [الكهف : ٢٩] : « كعكَرِ الزيتِ ، فإذا قرَّبه إلى وجهِه سقَطت فروةُ وجهِه

---

(١) تقدم تخريجه فى ١٥/٢٤٨.

(٢) أخرجه الطبرانى - كما فى مجمع الزوائد ٧/١٠٥- من طريق الضحاك ، عن ابن مسعود نحوه .

(٣) بعده فى ت١، ت٢ : « قال : حدثنا سعيد عن قتادة » .

(٤) أخرجه هناد فى الزهد (٢٨٤) من طريق شريك به ، وعزاه السيوطى فى الدر المنثور ٤/٢٢١ إلى عبد بن حميد .

(٥) أخرجه ابن المبارك - زوائد نعيم - (٣١٥) عن أبى الصباح به .

فيه »[١] .

حدَّثنا محمدُ بنُ المثنَّى ، قال : ثنا يعمرُ بنُ بشرٍ ، قال : أخبَرنا ابنُ المباركِ ، قال : أخبَرنا رِشدِينُ بنُ سعدٍ ، قال : ثنى عمرُو بنُ الحارثِ ، عن أبى السمحِ ، عن أبى الهيثمِ ، عن أبى سعيدٍ الخدرىِّ ، عن النبىِّ ﷺ مثلَه[٢] .

وقولُه : ﴿ يَغْلِى فِى ٱلْبُطُونِ ﴾ . **اختلَفت القرَأةُ فى قراءةِ ذلك** ؛ فقرَأته عامةُ قرأةِ المدينةِ والبصرةِ والكوفةِ : (تَغْلِى) / بالتاءِ[٣] ، بمعنى أنَّ شجرةَ الزقومِ تَغْلى فى ١٣٣/٢٠
بطونِهم ، فأنَّثوا « تَغْلى » لتأنيثِ الشجرةِ . وقرَأ ذلك بعضُ قرَأةِ أهلِ مكةَ[٤] : ﴿ يَغْلِى ﴾ . بمعنى : طعامُ الأثيمِ يَغْلى . أو : المُهْلُ يَغْلى . فذكَّره بعضُهم لتذكيرِ الطعامِ ، ووجَّه معناه إلى أن الطعامَ هو الذى يَغْلى فى بطونِهم ، وبعضُهم لتذكيرِ المهلِ ، ووجَّهه إلى أنَّه صفةٌ للمهلِ الذى يَغْلى .

والصوابُ مِن القولِ فى ذلك أنَّهما قراءتان معروفتان صحيحتا المعنى ، فبأيَّتِهما قرَأ القارئُ فمصيبٌ .

﴿ كَغَلْىِ ٱلْحَمِيمِ ﴾ . يقولُ : يَغْلى ذلك فى بطونِ هؤلاء الأشقياءِ ، كَغَلْىِ الماءِ المحمومِ ، وهو المسخَّنُ الذى قد أُوقِد عليه حتى تناهت شدَّةُ حرِّه .

---

(١) أخرجه الترمذى (٢٥٨١) عن أبى كريب به ، وأخرجه الحاكم ٤/٦٠٤ من طريق عبد الله بن وهب ، عن عمرو به ، وأخرجه ابن أبى الدنيا فى صفة النار (٧٦) ، وابن حبان (٧٤٧٣) ، والحاكم ٢/٥٠١ ، والبيهقى فى البعث (٦٠٤) من طريق عمرو به ، وأخرجه أحمد ١٨/٢١٠ (١١٦٧٢) ، وأبو يعلى (١٣٧٥) من طريق دراج به . وتقدم فى ١٥/٢٥٠ .

(٢) أخرجه ابن المبارك فى الزهد (٣١٦) - زوائد نعيم - ومن طريقه عبد بن حميد فى المنتخب (٩٢٨) .

(٣) وهى قراءة عاصم فى رواية أبى بكر وأبى عمرو وابن عامر ونافع وحمزة والكسائى . السبعة لابن مجاهد ص ٥٩٢ .

(٤) فى م : « الكوفة » ، وهى قراءة ابن كثير ، وحفص عن عاصم . المصدر السابق .

وقيل : حميمٌ . وهو محمومٌ ؛ لأنه مصروفٌ من « مفعولٍ » إلى « فعيلٍ » ، كما يُقالُ : قَتيلٌ . من مقتولٍ .

القولُ فى تأويلِ قولِه تعالى : ﴿ خُذُوهُ فَٱعْتِلُوهُ إِلَىٰ سَوَآءِ ٱلْجَحِيمِ ﴿٤٧﴾ ثُمَّ صُبُّوا۟ فَوْقَ رَأْسِهِۦ مِنْ عَذَابِ ٱلْحَمِيمِ ﴿٤٨﴾ ﴾ .

يقولُ تعالى ذكرُه : ﴿ خُذُوهُ ﴾ . يعنى هذا الأثيمَ بربِّه الذى أخبَر جلَّ ثناؤُه أن له شجرةَ الزقومِ طعامٌ ، ﴿ فَٱعْتِلُوهُ ﴾ . يقولُ تعالى ذكرُه : فادفَعوه وسُوقوه . يُقالُ منه : عتَله يَعْتِلُه عَتْلًا ، إذا ساقه بالدفعِ والجذبِ ، ومنه قولُ الفرزدقِ[1] :

ليس الكِرامُ بناحِلِيكَ أباهُمُ حتى تُرَدَّ إلى عَطِيَّةَ تُعْتَلُ

أى : تُساقُ دَفْعًا وسَحْبًا .

وقولُه : ﴿ إِلَىٰ سَوَآءِ ٱلْجَحِيمِ ﴾ . يعنى : إلى وَسَطِ الجحيمِ . ومعنى الكلامِ : يُقالُ يومَ القيامةِ : خذُوا هذا الأثيمَ ، فسُوقوه دفعًا فى ظهرِه ، وسحبًا إلى وسَطِ النارِ .

وبنحوِ الذى قلْنا فى معنى قولِه : ﴿ فَٱعْتِلُوهُ ﴾ قال أهلُ التأويلِ .

ذكرُ مَن قال ذلك

حدَّثنى محمدُ بنُ عمرٍو ، قال : ثنا أبو عاصمٍ ، قال : ثنا عيسى ، **وحدَّثنى** الحارثُ ، قال : ثنا الحسنُ ، قال : ثنا ورقاءُ ، جميعًا عن ابنِ أبى نَجيحٍ ، عن مجاهدٍ قولَه : ﴿ خُذُوهُ فَٱعْتِلُوهُ إِلَىٰ سَوَآءِ ٱلْجَحِيمِ ﴾ . قال : خُذُوه فادفَعوه[2] .

---

(١) ديوانه ٢/ ٧٢٢.

(٢) تفسير مجاهد ص ٥٩٨، ومن طريقه الفريابى - كما فى تغليق التعليق ٤/ ٣١٠ ، وعزاه السيوطى فى الدر المنثور ٦/ ٣٣ إلى عبد بن حميد وابن المنذر .

وفى قوله : ﴿ فَٱعْتِلُوهُ ﴾ لغتان ؛ كسرُ التاءِ ، [1] وهى قراءةُ عامةِ أهلِ الكوفةِ والبصرةِ ، وبعضِ أهلِ المدينةِ ، ورفعُ التاءِ [1] ، وهى قراءةُ بعضِ قرأةِ أهلِ المدينةِ وبعضِ أهلِ مكةَ .

والصوابُ مِن القراءةِ فى ذلك عندَنا أنَّهما لغتان معروفتان فى العربِ ، يُقالُ منه : عتَل يَعْتِلُ ويَعْتُلُ . فبأيَّتِهما قرَأ القارئُ فمصيبٌ .

حدَّثنا بشرٌ ، قال : ثنا يزيدُ ، قال : ثنا سعيدٌ ، عن قتادةَ : ﴿ إِلَىٰ سَوَآءِ ٱلْجَحِيمِ ﴾ : إلى وَسَطِ النارِ [2] .

/ وقولُه : ﴿ ثُمَّ صُبُّوا۟ فَوْقَ رَأْسِهِۦ مِنْ عَذَابِ ٱلْحَمِيمِ ﴾ . يقولُ تعالى ذكرُه : ثم صبُّوا على رأسِ هذا الأثيمِ ﴿ مِنْ عَذَابِ ٱلْحَمِيمِ ﴾ . يعنى : من الماءِ المُسَخَّنِ الذى وصَفْنا صفتَه ، وهو الماءُ الذى قال اللَّهُ : ﴿ يُصْهَرُ بِهِۦ مَا فِى بُطُونِهِمْ وَٱلْجُلُودُ ﴾ [الحج : ٢٠] . وقد بيَّنتُ صفتَه هنالك [3] . ١٣٤/٢٥

القولُ فى تأويلِ قولِه تعالى : ﴿ ذُقْ إِنَّكَ أَنتَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْكَرِيمُ ﴿٤٩﴾ إِنَّ هَٰذَا مَا كُنتُم بِهِۦ تَمْتَرُونَ ﴿٥٠﴾ ﴾ .

يقولُ تعالى ذكرُه : يُقالُ لهذا الأثيمِ الشقىِّ : ذُقْ هذا العذابَ الذى تُعذَّبُ به اليومَ ، ﴿ إِنَّكَ أَنتَ ٱلْعَزِيزُ ﴾ فى قومِك ، ﴿ ٱلْكَرِيمُ ﴾ عليهم .

وذُكِر أن هذه الآياتِ نزَلت فى أبى جهلِ بنِ هشامٍ .

(١ - ١) سقط من النسخ ، وأثبتناه ليستقيم السياق ، وبالكسر قرأ عاصم وأبو عمرو وحمزة والكسائى وأبى جعفر وخلف ، وبالضم قرأ نافع وابن كثير وابن عامر ويعقوب . النشر ٢/٢٧٧ .

(٢) ينظر التبيان للطوسى ٩/ ٢٣٨.

(٣) ينظر ما تقدم فى ١٦/ ٤٩٥.

ذكرُ مَن قال ذلك

حدَّثنا بشرٌ، قال : ثنا يزيدُ، قال : ثنا سعيدٌ، [٢/٨٠٣ظ] عن قتادةَ : ﴿ ثُمَّ صُبُّوا۟ فَوْقَ رَأْسِهِۦ مِنْ عَذَابِ ٱلْحَمِيمِ ﴾ : نزَلت فى عدوِّ اللَّهِ أبى جهلٍ، لقِى النبىَّ ﷺ، فأخَذه فهزَّه، ثم قال : « أولى لك يا أبا جهلٍ فأولى، ثم أولى لك فأولى، ذُقْ إنك أنت العزيزُ الكريمُ » . وذلك أنه قال : أيُوعِدُنى محمدٌ ؟! واللَّهِ لأنا أعزُّ مَن مشَى بينَ جبلَيْها . وفيه نزَلت : ﴿ وَلَا تُطِعْ مِنْهُمْ ءَاثِمًا أَوْ كَفُورًا ﴾ [الإنسان : ٢٤] . وفيه نزَلت : ﴿ كَلَّا لَا تُطِعْهُ وَٱسْجُدْ وَٱقْتَرِب ﴾ [العلق : ١٩] . وقال قتادةُ : نزَلت فى أبى جهلٍ وأصحابِه الذين قتَل اللَّهُ تبارَك وتعالى يومَ بدرٍ : ﴿ أَلَمْ تَرَ إِلَى ٱلَّذِينَ بَدَّلُوا۟ نِعْمَتَ ٱللَّهِ كُفْرًا وَأَحَلُّوا۟ قَوْمَهُمْ دَارَ ٱلْبَوَارِ ﴾[1] [إبراهيم : ٢٨] .

حدَّثنا ابنُ عبدِ الأعلى، قال : ثنا ابنُ ثورٍ، عن معمرٍ، عن قتادةَ، قال : نزَلت فى أبى جهلٍ : ﴿ خُذُوهُ فَٱعْتِلُوهُ ﴾ . قال قتادةُ : قال أبو جهلٍ : ما بينَ جبلَيْها رجلٌ أعزُّ ولا أكرمَ منى . فقال اللَّهُ عز وجل : ﴿ ذُقْ إِنَّكَ أَنتَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْكَرِيمُ ﴾[2] .

حدَّثنى يونسُ، قال : أخبَرنا ابنُ وهبٍ، قال : قال ابنُ زيدٍ فى قولِه : ﴿ خُذُوهُ فَٱعْتِلُوهُ إِلَىٰ سَوَآءِ ٱلْجَحِيمِ ﴾ . قال : هذا لأبى جهلٍ .

فإن قال قائلٌ : وكيف قيل وهو يُهانُ بالعذابِ الذى ذكرَه اللَّهُ، ويُذَلُّ بالعَتْلِ إلى سواءِ الجحيمِ : ﴿ إِنَّكَ أَنتَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْكَرِيمُ ﴾ ؟ قيل : إنَّ قولَه : ﴿ إِنَّكَ أَنتَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْكَرِيمُ ﴾ غيرُ وصفٍ مِن قائلِ ذلك له بالعزّةِ والكرمِ، ولكنه تقريعٌ

---

(١) عزاه السيوطى فى الدر المنثور ٦/٣٣ إلى المصنف وعبد بن حميد مختصرًا .

(٢) أخرجه عبد الرزاق فى تفسيره ٢/٢٠٩ عن معمر به، وعزاه السيوطى فى الدر المنثور ٦/٣٣ إلى عبد بن حميد وابن المنذر .

منه له بما كان يَصِفُ به نفسَه فى الدنيا ، وتوبيخٌ له بذلك على وجهِ الحكايةِ ؛ لأنه كان فى الدنيا يقولُ : إنك أنت العزيزُ الكريمُ . فقيل له فى الآخرةِ ، إذ عُذِّب بما عُذِّب به فى النارِ : ذُقْ هذا الهوانَ اليومَ ، فإنَّك كنتَ تَزْعُمُ أنك أنت العزيزُ الكريمُ ، وإنَّك أنت الذليلُ المَهِينُ ، فأينَ الذى كنتَ تقولُ وتدَّعى من العزِّ والكرمِ ، هلَّا تَمْتَنِعُ من العذابِ بعزَّتِك !!

حدَّثنا ابنُ بشَّارٍ ، قال : ثنا صفوانُ بنُ عيسى ، قال : ثنا ابنُ عَجْلانَ ، عن سعيدٍ المَقْبُرِىِّ ، عن أبى هريرةَ ، قال : قال كعبٌ : للَّهِ ثلاثةُ أثوابٍ ؛ ائتَزر بالعزِّ ، وتسَرْبَل الرحمةَ ، وارْتَدَى الكِبرياءَ ، تعالَى ذكرُه ، فمَن / تعزَّز بغيرِ ما أعزَّه اللَّهُ ، فذاك الذى ١٣٥/٢٥
يُقالُ له[(١)] : ﴿ ذُقْ إِنَّكَ أَنتَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْكَرِيمُ ﴾ ، ومن رحِم الناسَ فذاك الذى سرْبَل اللَّهَ سربالَه الذى يَنْبَغى له ، ومن تكبَّر فذاك الذى نازَع اللَّهَ ردائَه ، إن اللَّهَ تعالى ذكرُه يقولُ : لا يَنْبَغى لمن نازَعنى ردائِى أن أُدْخِلَه الجنةَ[(٢)] .

وأجمَعت قرأةُ الأمصارِ جميعًا على كسرِ الألفِ مِن قولِه : ﴿ ذُقْ إِنَّكَ ﴾ . على وجهِ الابتداءِ[(٣)] ، وحكايةِ قولِ هذا القائلِ : إنى أنا العزيزُ الكريمُ . وقرَأ ذلك بعضُ المتأخِّرين : (ذُقْ أَنَّكَ) بفتحِ الألفِ على إعمالِ قولِه : ﴿ ذُقْ ﴾ فى قولِه : (أَنَّكَ)[(٤)] . كأنَ معنى الكلامِ عندَه : ذُقْ هذا القولَ الذى قُلتَه فى الدنيا .

والصوابُ من القراءةِ فى ذلك عندَنا[(٥)] كسْرُ الألفِ من : ﴿ إِنَّكَ ﴾ على

---

(١) سقط من : ص ، م ، ت ٢ ، ت ٣.

(٢) بعده فى ص ، م ، ت ١ ، ت ٢ : « جل وعز » .

والأثر أخرجه الحاكم ٢/٤٥١ - ومن طريقه البيهقى فى الشعب (٨١٥٩) - من طريق صفوان ، عن ابن عجلان ، عن سعيد ، عن أبى هريرة رفعه ، وعزاه السيوطى فى الدر المنثور ٥/٣٧ إلى ابن مردويه .

(٣) وهى قراءة ابن كثير ونافع وابن عامر وأبى عمرو وعاصم وحمزة . السبعة لابن مجاهد ص ٥٩٣.

(٤) وهى قراءة الكسائى . السبعة لابن مجاهد ص ٥٩٣.

(٥) القراءتان كلتاهما صواب ، فهما متواترتان ، فلا شذوذ فى إحداهما .

المعنى الذى ذكرتُ لقارئه ؛ لإجماعِ الحجةِ من القرأةِ عليه وشذوذِ ما خالَفه ، وكفى دليلًا على خطأ قراةٍ خِلافُها ما مضَت عليه الأئمةُ من المتقدِّمين والمتأخِّرين ، مع بُعْدِها من الصحةِ فى المعنى وفراقِها[1] تأويلَ أهلِ التأويلِ .

وقولُه : ﴿ إِنَّ هَٰذَا مَا كُنتُم بِهِۦ تَمْتَرُونَ ﴾ . يقولُ تعالى ذكرُه : يُقالُ له : إن هذا العذابَ الذى يُعذَّبُ به اليومَ هو العذابُ الذى كنتم فى الدنيا تَشُكُّون ، فتَخْتَصِمون فيه ولا تُوقِنون به ، فقد لقِيتُموه فذوقوه .

القولُ فى تأويلِ قولِه تعالى : ﴿ إِنَّ ٱلْمُتَّقِينَ فِى مَقَامٍ أَمِينٍ ﴿٥١﴾ فِى جَنَّٰتٍ وَعُيُونٍ ﴿٥٢﴾ يَلْبَسُونَ مِن سُندُسٍ وَإِسْتَبْرَقٍ مُّتَقَٰبِلِينَ ﴿٥٣﴾ ﴾ .

يقولُ تعالى ذكرُه : إن الذين اتَّقَوُا اللَّهَ بأداءِ طاعتِه واجتنابِ معاصِيه ، فى موضعِ إقامةٍ ، آمِنين فى ذلك الموضعِ مما كان يُخافُ منه فى مقاماتِ الدنيا ؛ من الأوصابِ والعللِ ، والأنصابِ والأحزانِ .

واختلَفت القرأةُ فى قراءةِ قولِه : ﴿ فِى مَقَامٍ أَمِينٍ ﴾ ؛ فقرَأته عامةُ قرأةِ المدينةِ : (فى مُقامٍ أمينٍ) بضمِّ الميمِ[2] ، بمعنى : فى إقامةٍ أمينٍ من الظَّعْنِ . وقرَأتْه عامةُ قرأةِ المِصْرَين ؛ الكوفةِ والبصرةِ : ﴿ فِى مَقَامٍ ﴾ بفتحِ الميمِ[3] ، على المعنى الذى وصَفْنا ، وتوجيهًا إلى أنهم فى مكانٍ وموضعٍ أمينٍ .

والصوابُ من القولِ فى ذلك أنهما قراءتان مستفيضتان فى قرأةِ الأمصارِ ، صحيحتا المعنى ، فبأيتِهما [٢/٨٠٤و] قرَأ القارئُ فمصيبٌ .

وبنحوِ الذى قلْنا فى ذلك قال أهلُ التأويلِ .

---

(١) فى ت ٢: « قربها » ، وفى ت ٣: « قرابها » .

(٢) وبها قرأ نافع وابن عامر وأبو جعفر . النشر ٢/٢٧٧ .

(٣) وبها قرأ ابن كثير وأبو عمرو وعاصم وحمزة والكسائى ويعقوب وخلف . المصدر السابق .

ذكرُ مَن قال ذلك

حدَّثنا بشرٌ ، قال : ثنا يزيدُ ، قال : ثنا سعيدٌ ، عن قتادةَ قولَه : ﴿ إِنَّ ٱلْمُتَّقِينَ فِى مَقَامٍ أَمِينٍ ﴾ : إىْ واللَّهِ ، أمينٍ من الشيطانِ والأنصابِ والأحزانِ[1] .

وقولُه : ﴿ فِى جَنَّٰتٍ وَعُيُونٍ ﴾ . فـ « الجناتُ والعيونُ » ترجمةٌ عن « المَقامِ الأمينِ » ، والمقامُ الأمينُ هو الجناتُ والعيونُ ، والجناتُ البساتينُ ، والعيونُ عيونُ الماءِ المطردِ فى أصولِ أشجارِ الجناتِ .

وقولُه : ﴿ يَلْبَسُونَ مِن سُندُسٍ ﴾ . يقولُ : يَلْبَسُ هؤلاء المتقون فى هذه الجناتِ من سندسٍ ، وهو ما رقَّ من الديباجِ ، ﴿ وَإِسْتَبْرَقٍ ﴾ . وهو ما غلُظ من الديباجِ .

١٣٦/٢٥ / كما **حدَّثنا** بشرٌ ، قال : ثنا يزيدُ ، قال : ثنا سعيدٌ ، عن قتادةَ ، عن عكرمةَ فى قولِه : ﴿ مِن سُندُسٍ وَإِسْتَبْرَقٍ ﴾ . قال : الإستبرقُ الديباجُ الغليظُ[2] .

وقيل : ﴿ يَلْبَسُونَ مِن سُندُسٍ وَإِسْتَبْرَقٍ ﴾ . ولم يقلْ : لباسًا . استغناءً بدلالةِ الكلامِ على معناه .

وقولُه : ﴿ مُّتَقَٰبِلِينَ ﴾ . يعنى أنهم فى الجنةِ يُقابِلُ بعضُهم بعضًا بالوجوهِ ، ولا يَنْظُرُ بعضُهم فى[3] قفا بعضٍ . وقد ذكَرْنا الروايةَ بذلك فيما مضَى ، فأغنى ذلك عن إعادتِه[4] .

---

(١) عزاه السيوطى فى الدر المنثور ٦/٣٣ إلى المصنف وعبد بن حميد .

(٢) أخرجه ابن أبى شيبة ١٣/ ١٣٧ ، والحسين المروزى فى زوائده على زهد ابن المبارك (١٥٣٤) من طريق قتادة به .

(٣) فى ت ١ : « من » ، وفى ت ٢ : « إلى » .

(٤) ينظر ما تقدم فى ١٤/ ٨٠ .

القولُ فى تأويلِ قولِه تعالى : ﴿ كَذَٰلِكَ وَزَوَّجْنَٰهُم بِحُورٍ عِينٍ ﴿٥٤﴾ يَدْعُونَ فِيهَا بِكُلِّ فَٰكِهَةٍ ءَامِنِينَ ﴿٥٥﴾ لَا يَذُوقُونَ فِيهَا ٱلْمَوْتَ إِلَّا ٱلْمَوْتَةَ ٱلْأُولَىٰ ۖ وَوَقَىٰهُمْ عَذَابَ ٱلْجَحِيمِ ﴿٥٦﴾ فَضْلًا مِّن رَّبِّكَ ۚ ذَٰلِكَ هُوَ ٱلْفَوْزُ ٱلْعَظِيمُ ﴿٥٧﴾ ﴾ .

يقولُ تعالى ذكرُه : كما أعطَيْنا هؤلاء المتقين فى الآخرةِ من الكرامةِ ؛ بإدخالِناهم الجناتِ ، وإلباسِناهم فيها السندسَ والإستبرقَ ، كذلك أكرَمْناهم بأن زوَّجناهم أيضًا فيها حُورًا من النساءِ . وهن النقيَّاتُ البَياضِ ، واحدتُهنَّ[1] حَوْراءُ .

وكان مجاهدٌ يقولُ فى معنى الحُورِ ما **حدَّثنى** به محمدُ بنُ عمرٍو ، قال : ثنا أبو عاصمٍ ، قال : ثنا عيسى ، **وحدَّثنى** الحارثُ ، قال : ثنا الحسنُ ، قال : ثنا ورقاءُ ، جميعًا عن ابنِ أبى نجيحٍ ، عن مجاهدٍ قولَه : ﴿ وَزَوَّجْنَٰهُم بِحُورٍ عِينٍ ﴾ . قال أنكَحْناهم حُورًا . قال : والحُورُ اللاتى يَحارُ فيهنَّ الطرْفُ ، بادٍ مُخُّ سُوقِهنَّ من وراءِ ثيابِهن ، ويرى الناظرُ وجهَه فى كبدِ إحداهنَّ كالمرآةِ من رقةِ الجلدِ وصفاءِ اللونِ[2] .

وهذا الذى قاله مجاهدٌ من أن الحورَ إنما معناها أنه يَحارُ فيها الطرْفُ ، قولٌ لا معنى له فى كلامِ العربِ ؛ لأن الحُورَ إنما هو جمعُ حَوْراءَ ، كما الحُمْرُ جمعُ حمراءَ ، والسُّودُ جمعُ سوداءَ ، والحَوْراءُ إنما هى فَعْلاءُ من الحَوَرِ ، وهو نَقاءُ البياضِ ، كما قيل للنقىِّ البياضِ من الطعامِ : الحُوَّارَى . وقد بيَّنا معنى ذلك بشواهدِه فيما مضَى قبلُ[3] .

---

(١) فى ص ، ت ٢ ، ت ٣ : « واحدهن » .

(٢) تفسير مجاهد ص ٥٩٨ ، ومن طريقه الفريابى - كما فى التغليق ٤/ ٣١٠ - والبيهقى فى البعث (٣٩٦) ، وأخرجه ابن أبى الدنيا فى صفة الجنة (٣٠٥) من طريق آخر عن مجاهد مختصرًا ، وعزاه السيوطى فى الدر المنثور ٦/ ٣٣ إلى عبد بن حميد وابن المنذر .

(٣) ينظر ما تقدم فى ٥/ ٤٤٣ وما بعدها .

وبنحوِ الذى قلْنا فى معنى ذلك قال سائرُ أهلِ التأويلِ .

ذكرُ مَن قال ذلك

حدَّثنا بشرٌ ، قال : ثنا يزيدُ ، قال : ثنا سعيدٌ ، عن قتادةَ قولَه : ﴿ كَذَٰلِكَ وَزَوَّجْنَٰهُم بِحُورٍ عِينٍ ﴾ . قال : بيضاءُ عيناءُ . قال : وفى قراءةِ ابنِ مسعودٍ : (بعِيسٍ عِينٍ) .

حدَّثنا ابنُ عبدِ الأعلى ، قال : ثنا ابنُ ثورٍ ، عن معمرٍ ، عن قتادةَ فى قولِه : ﴿ بِحُورٍ عِينٍ ﴾ . قال : بِيضٍ عِينٍ . قال : وفى حرفِ ابنِ مسعودٍ : [1] (بعِيسٍ عِينٍ) [2] .

وقراءةُ[3] ابنِ مسعودٍ هذه [4]تُنبِئُ عن[4] أنَّ معنى الحورِ غيرُ الذى ذهَب إليه مجاهدٌ ؛ لأن العِيسَ [1] عندَ العربِ جمعُ عَيْساءَ ، وهى البيضاءُ من الإبلِ ، كما قال الأعشى[5] :

وَمَهْمَهٍ نازِحٍ تَعْوِى الذئابُ به ... كَلَّفْتُ أَعْيَسَ تحتَ الرَّحْلِ نَعَّابا

١٣٧/٢٥ / يعنى بالأعْيَسِ جملًا أبيضَ . فأمَّا العِينُ ؛ فإنها جمعُ عيناءَ ، وهى العظيمةُ العينَيْن من النساءِ .

وقولُه : ﴿ يَدْعُونَ فِيهَا ﴾ الآية . يقولُ : يَدْعو هؤلاءِ المتقون فى الجنةِ بكلِّ

(١ - ١) سقط من : ت ٢ .

(٢) أخرجه عبد الرزاق فى تفسيره ٢/٢١٠ عن معمر به ، وهو فى تفسير سفيان ص ٢٨٣ قال : فى قراءة عبد الله . فذكره ، وعزاه السيوطى فى الدر المنثور ٦/٣٣ إلى عبد بن حميد .

(٣) فى النسخ : « قرأ » . والمثبت ما يقتضيه السياق .

(٤ - ٤) فى م : « يعنى » ، وفى ت ١ : « تنبئ على » .

(٥) ديوانه ص ٣٦١ .

نوعٍ من فواكهِ الجنةِ اشتَهَوْه ، ﴿ ءَامِنِينَ ﴾ فيها من انقطاعِ ذلك عنهم ونفادِه وفنائِه ، ومن غائلةِ أذاه ومكروهِه . يقولُ : ليست تلك الفاكهةُ هنالك كفاكهةِ الدنيا التى نَأْكُلُها ، وهم يَخافون مكروهَ عاقبتِها وغِبَّ أذاها ، مع نفادِها من عندِهم وعدمِها فى بعضِ الأزمنةِ والأوقاتِ .

وكان قتادةُ يوجِّهُ تأويلَ قولِه : ﴿ ءَامِنِينَ ﴾ . إلى ما حدَّثنا به بِشرٌ ، قال : ثنا يزيدُ ، قال : ثنا سعيدٌ ، عن قتادةَ : ﴿ يَدْعُونَ فِيهَا بِكُلِّ فَٰكِهَةٍ ءَامِنِينَ ﴾ : أمِنوا[1] من الموتِ والأوصابِ والشيطانِ[2] .

وقولُه : ﴿ لَا يَذُوقُونَ فِيهَا ٱلْمَوْتَ إِلَّا ٱلْمَوْتَةَ ٱلْأُولَىٰ ﴾ . يقولُ تعالى ذكرُه : لا يَذُوقُ هؤلاءِ المتقون فى الجنةِ الموتَ بعدَ الموتةِ الأولى التى ذاقوها فى الدنيا .

وكان بعضُ أهلِ العربيةِ[3] يُوَجِّهُ ﴿ إِلَّا ﴾ فى هذا الموضعِ إلى أنها فى معنى « سِوَى » ، ويقولُ : معنى الكلامِ : لا يَذُوقون [٢/٨٠٤ظ] فيها الموتَ سِوَى الموتةِ الأولى . ويُمَثِّلُه بقولِه تعالى ذكرُه : ﴿ وَلَا تَنكِحُوا۟ مَا نَكَحَ ءَابَآؤُكُم مِّنَ ٱلنِّسَآءِ إِلَّا مَا قَدْ سَلَفَ ﴾ [النساء : ٢٢] . بمعنى : سِوَى ما قد فعَل آباؤُكم .

وليس للذى قال من[4] ذلك عندِى وجهٌ مفهومٌ ؛ لأن الأغلبَ من قولِ القائلِ : لا أَذوقُ اليومَ الطعامَ إلا الطعامَ الذى ذُقْتُه قبلَ اليومِ . أنه يُريدُ الخبرَ عن قائلِه أن عندَه طعامًا فى ذلك اليومِ ، ذائقُه وطاعمُه ، دونَ سائرِ الأطعمةِ غيرِه . وإذا كان ذلك

---

(١) فى ت ٢، ت ٣: « آمنون » .

(٢) عزاه السيوطى فى الدر المنثور ٦/٣٣ إلى المصنف وعبد بن حميد .

(٣) هو الفراء فى معانى القرآن ٢/ ٤٤.

(٤) فى ت١، ت٢، ت ٣: « فى » .

الأغلبَ من معناه ، وجَب أن يكونَ قد أثبَت بقولِه : ﴿ إِلَّا ٱلْمَوْتَةَ ٱلْأُولَىٰ ﴾ موتةً من نوعِ الأولى هم ذائقوها ، ومعلومٌ أن ذلك ليس كذلك ؛ لأن اللَّهَ عزَّ وجلَّ قد آمَن أهلَ الجنةِ فى الجنةِ إذا هم دخَلوها من الموتِ ، ولكن ذلك كما وصَفتُ من معناه . وإنما جاز أن تُوضَعَ « إلَّا » فى موضعِ « بعد » ؛ لتقارُبِ معنَيْيهما فى مثلِ[1] هذا الموضعِ ، وذلك أن القائلَ إذا قال : لا أُكلِّمُ اليومَ رجلًا إلَّا رجلًا عندَ عمرٍو . قد أوجَب على نفسِه ألَّا يُكَلِّمَ ذلك اليومَ رجلًا بعدَ كلامِ الرجلِ الذى عندَ عمرٍو . وكذلك إذا قال : لا أُكَلِّمُ اليومَ رجلًا بعدَ رجلٍ عندَ عمرٍو . قد أوجَب على نفسِه ألَّا يُكَلِّمَ ذلك اليومَ رجلًا إلا رجلًا عندَ عمرٍو ، فـ « بعد » و « إلَّا » مُتَقارِبتا المعنى فى هذا الموضعِ . ومن شأنِ العربِ أن تَضَعَ الكلمةَ مكانَ غيرِها إذا تقارَب معنياهما ، وذلك كوَضْعِهم الرجاءَ مكانَ الخوفِ ، لما فى معنى الرجاءِ من الخوفِ ؛ لأن الرجاءَ ليس بيقينٍ وإنما هو طمعٌ ، وقد يَصْدُقُ ويَكْذِبُ ، كما الخوفُ يَصْدُقُ أحيانًا ويَكْذِبُ ، فقال فى ذلك أبو ذُؤَيْبٍ[2] :

إذا لَسَعَتْهُ الدَّبْرُ لم يَرْجُ لَسْعَها وخالَفَها فى بيتِ نُوبٍ عَوَامِلِ

١٣٨/٢٥ / فقال : لم يَرْجُ لَسْعَها . ومعناه فى ذلك : لم يَخَفْ لَسْعَها . وكوضعِهم الظنَّ موضعَ العلمِ الذى لم يُدْرَكْ من قِبَلِ العِيانِ وإنما أُدرِك استدلالًا أو[3] خبرًا ، كما قال الشاعرُ[4] :

فقلتُ لهم ظُنُّوا بألْفَىْ مُدَجَّجٍ سَرَاتُهُمُ فى الفارِسِيِّ المُسَرَّدِ

بمعنى : أَيقِنوا بألفَىْ مُدَجَّجٍ واعلَموا . فوضَع الظنَّ موضِعَ اليقينِ ، إذ لم يَكُنِ

---

(١) سقط من : م .

(٢) تقدم تخريجه فى ٧/ ٤٥٦.

(٣) فى ت ٢، ت ٣: « و » .

(٤) هو دريد بن الصمة ، وتقدم البيت فى ١/ ٦٢٣، ٦٢٤.

المَقولُ لهم ذلك عايَنوا ألفَى[1] مُدَجَّجٍ ولا رأْوهم ، وإنَّ ما أخبَرهم به هذا المخبرُ - فقال لهم : ظُنُّوا - العلمُ بما لم يُعايَنْ ، من فعلِ القلبِ ، فوضَع أحدَهما موضعَ الآخرِ ؛ لتقارُبِ معنَيَيْهِما ، فى نظائرَ لما ذَكَرْتُ يَكْثُرُ إحصاؤُها ، كما يَتقارَبُ معنى الكلمتين فى بعضِ المعانى ، وهما مختلِفتا المعنى فى أشياءَ أُخَرَ ، فتَضَعُ العربُ إحداهما مكانَ صاحبتِها فى الموضعِ الذى يَتقاربُ[2] معنياهُما[3] فيه ، فكذلك قولُه : ﴿ لَا يَذُوقُونَ فِيهَا ٱلْمَوْتَ إِلَّا ٱلْمَوْتَةَ ٱلْأُولَىٰ ﴾ . وُضِعت « إلَّا » فى موضعِ « بعد » ؛ لما وُصِفَ من تقارُبِ معنى « إلَّا » و « بعد » فى هذا الموضعِ ، وكذلك : ﴿ وَلَا تَنكِحُوا۟ مَا نَكَحَ ءَابَآؤُكُم مِّنَ ٱلنِّسَآءِ إِلَّا مَا قَدْ سَلَفَ ﴾ [النساء : ٢٢] . إنما معناه : بعدَ الذى سلَف منكم فى الجاهليةِ ، فأما إذا وُجِّهتْ « إلَّا » فى هذا الموضعِ إلى معنى « سِوَى » ، فإنما هو ترجمةٌ عن المكانِ ، وبيانٌ عنها بما هو أشدُّ التباسًا على من أراد علمَ معناها منها .

وقولُه : ﴿ وَوَقَىٰهُمْ عَذَابَ ٱلْجَحِيمِ ﴿٥٦﴾ فَضْلًا مِّن رَّبِّكَ ﴾ . يقولُ تعالى ذكرُه : ووقَى هؤلاء المتقين ربُّهم يومَئذٍ عذابَ النارِ ؛ تفضُّلًا يا محمدُ من ربِّك عليهم وإحسانًا منه إليهم بذلك ولم يُعاقِبْهم بجُرْمِ سلَف منهم فى الدنيا ، ولولا تفضُّلُه عليهم بصفحِه لهم عن العقوبةِ لهم على ما سلَف منهم من ذلك ، لم يَقِهم عذابَ الجحيمِ ، ولكن كان ينالُهم ويُصيبُهم ألمُه ومكروهُه .

وقولُه : ﴿ ذَٰلِكَ هُوَ ٱلْفَوْزُ ٱلْعَظِيمُ ﴾ . يقولُ تعالى ذكرُه : هذا الذى أعطَيْنا هؤلاء المتقين فى الآخرةِ ، من الكرامةِ التى وصَفتُ فى هذه الآياتِ ، ﴿ هُوَ ٱلْفَوْزُ

---

(١) سقط من : ص ، ت ١ ، ت ٢ ، ت ٣ .

(٢) فى ت ٢ ، ت ٣ : « تتفاوت » .

(٣) فى ت ١ : « معناهما » ، وفى ت ٢ : « معنييهما » .

﴿ ٱلْعَظِيمُ ﴾ . يقولُ : هو الظَّفَرُ العظيمُ(*) [٤٤/٦٥و] بما كانوا يَطْلُبون إدراكَه فى الدنيا بأعمالِهم وطاعتِهم ربَّهم واتقائِهم إياه ، فيما امتحَنَهم به من الطاعاتِ والفرائضِ ، واجتنابِ المحارمِ .

القولُ فى تأويلِ قولِه : ﴿ فَإِنَّمَا يَسَّرْنَٰهُ بِلِسَانِكَ لَعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ ﴿٥٨﴾ فَٱرْتَقِبْ إِنَّهُم مُّرْتَقِبُونَ ﴿٥٩﴾ ﴾ .

يقولُ تعالى ذكرُه لنبيِّه محمدٍ ﷺ : فإنما سهَّلْنا قراءةَ هذا القرآنِ الذى أنزَلْناه إليك يا محمدُ بلسانِك ؛ ليتذكَّرَ هؤلاء المشركون الذين أرْسَلْتُك إليهم بعِبَرِه وحُجَجِه ، ويتَّعظوا بعظاتِه ، ويتفكَّروا فى آياتِه ، إذا أنت تَلَوْتَه عليهم ، فيُنيبوا إلى [٢/٨٠٥و] طاعةِ ربِّهم ، ويُذْعِنوا للحقِّ عندَ تبيُّنِهموه .

١٣٩/٢٥ / كما **حدَّثنا** بشرٌ ، قال : ثنا يزيدُ ، قال : ثنا سعيدٌ ، عن قتادةَ قولَه : ﴿ فَإِنَّمَا يَسَّرْنَٰهُ بِلِسَانِكَ ﴾ . أى : هذا القرآنَ ؛ ﴿ لَعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ ﴾(٢) .

حدَّثنى يونسُ ، قال : أخبَرنا ابنُ وهبٍ ، قال : قال ابنُ زيدٍ فى قولِه : ﴿ فَإِنَّمَا يَسَّرْنَٰهُ بِلِسَانِكَ ﴾ . قال : القرآنَ ، و﴿ يَسَّرْنَٰهُ ﴾ : أطلَق به لسانَه .

وقولُه : ﴿ فَٱرْتَقِبْ إِنَّهُم مُّرْتَقِبُونَ ﴾ . يقولُ تعالى ذكرُه لنبيِّه محمدٍ ﷺ : فانتَظِرْ أنت يا محمدُ الفتحَ من ربِّك ، والنصرَ على هؤلاء المشركين باللَّهِ من قومِك من قريشٍ ، إنهم مُنتَظِرون عندَ أنفسِهم قهرَك وغلبتَك ، بصدِّهم عما أتَيْتَهم به من الحقِّ ، مَن أراد قبولَه منك واتباعَك عليه .

وبنحوِ الذى قلْنا فى ذلك قال أهلُ التأويلِ .

(*) إلى هنا ينتهى الخرم الموجود فى نسخة خزانة القرويين ، والمشار إليه فى ص١٥ .

(٢) عزاه السيوطى فى الدر المنثور ٦/٣٤ إلى المصنف وعبد بن حميد .

ذكرُ مَن قال ذلك

حدَّثنا بشرٌ، قال : ثنا يزيدُ، قال : ثنا سعيدٌ، عن قتادةَ : ﴿ فَٱرْتَقِبْ إِنَّهُم مُّرْتَقِبُونَ﴾ . أى : فانتظِرْ إنهم مُنتَظِرون[1] .

آخرُ تفسيرِ سورةِ « الدخانِ »

(١) أخرجه عبد بن حميد فى تفسيره - كما فى تغليق التعليق ٤/ ٣١٠، ٣١١ - من طريق شيبان ، عن قتادة .

وبعده فى الأصل : « تم السفر والحمد لله حق حمده ، يتلوه إن شاء الله تفسير سورة الجاثية » . وبه ينتهى الجزء الرابع والأربعون ، وسيجد القارئ أرقام النسخة ت١ بين معكوفين .